الدكتور مصطفى غالب

في سبيل موسوعة فلسفية ٧

أفلاطون

دار ومكتبة الهلال

أفلاطون

في سبيل
موسوعة
فلسفية

أفلاطون

تأليف

الدكتور مصطفى غالب

منشورات
دار ومكتبة الهلال

١٩٨٨

الإدارة العامة: دار ومكتبة الهلال بئر العبد - شارع مكرزل

بيروت - ص.ب: ١٥/٥٠٠٣

مقدمة

يمتاز أفلاطون هذا الحكيم العبقري العظيم الذي عبر في كتاباته عن روحه اليونانية الخالصة ، ومنهجه الفلسفي المنطقي المتكامل ، المسربل بالأسرار والتقاليد السحرية الخلابة القادمة من الشرق ، بأن نظرياته وآراءه العميقة المجردة عن هيولي المادة ، والمتخلقة بأخلاق الكمال والمثالية قد شملت الفلسفة العربية ، والحكمة الاسلامية ، فأثرت فيهما تأثيرا فعالا ، وخاصة ما يتعلق بعلم التوحيد ، أو علم الأصول والأحكام ، وحدوث العالم ، والمبدأ والمعاد ، والنفس الانسانية وسرمديتها .

ولا غرو فقد انتقلت الآثار الافلاطونية العامة الى الفلسفة العربية بعد أن عكف علماء العرب ومفكريهم على ترجمتها الى اللغة العربية وصبغوها بالصبغة الاسلامية حتى جاءت تجسيدا لآراء وأفكار أكثر المدارس الفكرية التي تمثل وجهات نظر المدارس الفكرية الاسلامية ·

ويلاحظ أن الافكار الافلاطونية قد سيطرت سيطرة تامة على المدارس الباطنية الاشراقية الصوفية في الاسلام لنزعتها المثالية الهادفة الى تحقير الجسد وملذاته ، والداعية الى طلب الكمال والتطهير الذاتي ، والتخلق بأخلاق الباري سبحانه وتعالى · لذلك كانت فلسفته أو بالأحرى حكمته الينبوع الرقراق الصافي الخالي من الادران والاقذار الذي عب منه أصحاب الفلسفة الاشراقية العرفانية التواقة الى كشف جوهر الانوار العقلية الشمشعانية ولمعانها وفيضانهاعلى الانفس الحقانية العارفة الواصلة الى حالة التجرد ، بعد انتقالها من حد القوة الى حد الفعل والكمال والمثالية ·

والنزعة الافلاطونية كما يبدو لكل من تعمق في دراسة الفلسفة العربية والاسلامية ظاهرة بينه

عند أكبر الفلاسفة العرب ، وخاصة ما يتعلق منها بالنفس اذ النفس عندهم كشأنها عند أفلاطون ، جوهر روحاني الهي شريف ، واحد بسيط ، خالد غير داثر مؤثر في الاجسام ، قادر على مجاوزة عالم الحواس والأبدان الى عالم الربوبية والصفاء • فالنفس في هذه الدنيا عابرة سبيل ، ومنهم من يقول : « والعجب من الانسان كيف يهمل نفسه ويبعدها من باريها وحالها هذه الحالة الشريفة ، فيا أيها الانسان الجاهل : ألا تعلم ان مقامك في هذا العالم انما هو كلمحة ، ثم تصير الى العالم الحقيقي ، فتبقى فيه أبد الآبدين ؟!!

ونرى أن الفارابي وابن سينا واخوان الصفا والكندي وابن رشد وغيرهم من كبار الفلاسفة العرب يكثرون في مصنفاتهم الفلسفية من ذكر أفلاطون في معرض كلامهم عن النفس وانها نور الباري عز وجل ، فاذا هي خلعت البدن علمت كل ما في العالم ، ويشيرون من طرف خفي الى تقسيم أفلاطون لقوى النفس الى الشهوانية والغضبية والعقلية ، وكذلك يعتمدون على آراء أفلاطون في أن الأنفس العقلية باقية خالدة سرمدية بعد الموت ، وأن مسكن الأنفس العقلية ، اذا تجردت

هو خلف الفلك في عالم الربوبية حيث نور الباري سبحانه وتعالى ·

ويتجلى الأثر الأفلاطوني واضحا في رسائل الفارابي في العلم المدني وآراء أهل المدينة الفاضلة· كما وأن أكثر مؤلفات ابن سينا مستنبطة من مصنفات أفلاطون ، وكذلك بالنسبة لجماعة اخوان الصفاء وما جاء في رسائلهم حول الفيض والابداع والنفس والعقول ، والمبدأ والمعاد ·

ويبدو جليا أن الافلاطونية بما فيها من عقلانيات ونفسانيات وآراء ما ورائية والهية قد انتقلت أولا الى فلاسفة الاسكندرية « فيلون الاسكندراني ، وأفلوطين ، وفرفريوس ، وبرقلوس » ثم انتقلت الى اللغة العربية ، ومن العربية انتقلت الى اللغات الأوروبية ·

ويعتبر أفلاطون الحكيم الاول الذي تكلم بحكمة وروية ودقة عن المعرفة الحقانية لذاتها · حيث لاحظ أن حكماء عصره على رأيين متعارضين في هذا المجال : رأي من يذهب الى أن المعرفة متعلقة بالاحساس وهي جزئية متغيرة · ورأي آخر يرد

المعرفة الى العقل ويعتبر موضوعها الماهية المجردة الضرورية • فعمد أفلاطون الى بحث أنواع المعرفة، فوجدها حسب رأيه على أربعة أنواع :

١ ـ الاحساس ، وهو ادراك عوارض الاجسام أو أشباحها في اليقظة وصورها في المنام •

٢ ـ الظن ، وهو الحكم على المحسوسات بما هي كذلك ، وهذه الاحكام نسبية متغيرة لتعلقها بالمادة •

٣ ـ الاستدلال ، وهو علم الماهيات الرياضية المتحققة في المحسوسات •

٤ ـ التعقل ، وهو ادراك الماهيات المجردة من كل مادة •

ولم يقف نشاط أفلاطون العقلاني عند حد المعرفة بل تعداها الى ايجاد نظرية المثل ، والعالم المعقول ، والوجود ، وحدوث العالم ، والنفس الانسانية ، والمنطق ، والاخلاق ، والفضيلة التي تنطلق حسب مفهومه من النفس ، والعدالة المدنية، والمدن الغير عادلة ، والدولة التيموقراطية ،

والدولة الاوليفركية ، والدولة الديمقراطيـة ، والدولة الاستبدادية ، الى آخر ما جادت به عبقريته الفذة من علوم ومعارف ومحاورات عقلانية ناهدة الى نشر الافكار العقلانية في النفوس العارفة ٠

ومما لا شك فيه ان أفلاطون عالج في مؤلفاته الكثير من النواحي الاجتماعية التي كانت تتسلط على البيئة اليونانية ، وخاصة ما يتعلـق منهـا بالأخلاق الفردية والأسرة والسلوك الانسانـي ، وتحديد النسل وتحسينه ٠ وتكلم أيضا عن التوحيد والحكمة ، والقوة والحق ، وذهب الى أن العدالة هي مصلحـة الأقـوى ، وأودع كتابـه الخـالد « الجمهورية » ميتافيزيـاءه ولاهوتـه وأخلاقـه الوضعية وعلم نفسه ، وسياسته ونظريته في الفن والمرأة باعتبارها خلية اجتماعية ٠ وذكر بأن حفنة من القوة لأفضل من حقيبة مليئة بالحق ٠ ونادى أفلاطون بضرورة جعل كل شيء مشتركا مشاعا حتى الزوجات والأولاد الذين تتصرف بهم الحكومة على هواها ٠

ولا بد لمن يرغب في معرفة المزيد مـن فلسفة

أفلاطون ، من التلفت الى كتب ومصنفات تلميذه أرسطو الذي كتب عن معلمه ومربيه الكثير ، وهاجمه ونقده في آراءه ونظرياته ، وخاصة في نظرية المثل ، وقد أثر هذا النقد في بعض فلاسفة الشرق كالفارابي وابن سينا وغيرهما .

بيروت ٢٠/٥/١٩٧٩

الدكتور مصطفى غالب

حياة أفلاطون :

كانت ولادة أفلاطون في أثينا أو في أجينا ـ جزيرة مقابلة لأثينا ـ سنة ٤٢٧ق٠م من أسرة غنية عريقة بالمجد والشرف ، فأبوه أرسطون كان أحد كبار الحكماء في عصره ، وعمه كريتياس كان رئيس الطغاة الذي سقطت حكومته بعد معارك (البلوبونييز) حيث هزمت أثينا وتحطم أسطولها العظيم ٠

فاستلم الحكم من بعده جماعة الديمقراطيين الذين حكموا على سقراط بالاعدام ٠ تثقف أفلاطون كأحسن ما يتثقف أبناء الطبقات الراقية ، وقرأ شعراء اليونان ونظم الشعر التمثيلي ٠ ثم

أقبل على العلوم وأظهر ميلا خاصا للرياضيات · ويقال أنه أخذ الحكمة عن فيثاغورس ثم تعرف على سقراط وشهد بعض مناقشاته فأعجب به الاعجاب الشديد مما جعله يكره الشعر ويميل الى الحكمة · ومما قاله هو بالذات عن نفسه : « أشكر الله لأنه خلقني يونانيا لا بربريا ، حرا لا عبدا ، ورجلا لا امرأة ، وأشكره أيضا لأنني ولدت في عهد سقراط » ·

وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين حتى أراد أهله وأصدقائه ، وقد توصلوا الى الحكم بمساعدة اسبرطه ، أن يقلدوه أعمالا تناسب عبقريته الفذة، ففضل الانتظار · وطغى الارستقراطيون وبغوا ، وأمعنوا في خصومهم نفيا وتقتيلا وتشريدا ، وصادروا ممتلكاتهم ، ثم انقسموا على أنفسهم ، فملأوا المدينة فسادا ، وملأوا قلب أفلاطون غما وحزنا · ولما هزمهم الشعب وقامت الديمقراطية ، انصفت بعض الشيء ، ولكن الديمقراطية أعدمت سقراط فيئس أفلاطون من السياسة ، وأيقن أن الحكومة العادلة لا ترتجل ارتجالا ، وانما يجب التمهيد لها بالتربية والتعليم · فقضى حياته يفكر

في السياسة ويمهد لها بالفلسفة ، ولم تكن له قط مشاركة عملية فيها •

وبعد موت أستاذه سقراط حزن عليه حزنا شديدا فاعتزل الحياة العامة ، وما عتم ان غادر أثينا الى ميغاري حيث اتصل باقليدس الرياضي الكبير ، ثم توجه الى مصر ، وزار صقلية حيث قابل « دنيس السيراقوزي » الطاغية • وكان خلال تجواله وتنقلاته بين البلدان يعرج على أثينا مسقط رأسه بين الفينة والفينة • ويقال بأن ملك صقلية اعتقله وأرسله الى جزيرة أجينا التي كانت حليفة اسبرطة ضد أثينا • فعرض في سوق الرقيق ، فافتداه رجل من قورينا وعاد أفلاطون الى أثينا •

وفي أثينا أنشأ عام ٣٨٧ مدرسة في أبنية تطل على بستان اكاديموس . فسميت لذلك الاكاديمية حيث استقر فيها يلقي حكمه ودروسه ، وارشاداته ومواعظه ، ويصنف الكتب ، ويجري المحاورات العلنية ، حتى مات عن عمر يناهز الثمانين ، محاطا بتلامذته ومريديه وأتباعه الذين كانوا يحبونه كما كان هو يحب معلمه سقراط •

ويحدثنا القفطي في كتابه تاريخ الحكماء فيقول : « •• كان أفلاطون في قديم يميل الى الشعر وأخذ منه بحظ متوفر ثم حضر مجلس سقراط فرآه يذم الشعر وأهله ويقول هي خيالات تشعر بالخلائق ، لا على الحقيقة وطلب الحقائق أولى ، فتركه عند ذلك أفلاطون • ثم انتقل الى قول فيثاغورس في الاشياء المعقولة • ويقال أنه عاش احدى وثمانين سنة وعنه أخذ أرسطاطاليس وخلفه بعد موته ، وقال اسحق انه أخذ عن سقراط • وتوفي أفلاطون في السنة التي ولد فيها الاسكندر وهي السنة الثالثة عشر من ملك الأوخس • وكان ملك مقدونية في ذلك الوقت فيلبس وهو أبو الاسكندر » •

ويرى القفطي أن اليونان يبالغون في أفلاطون ويعظمونه ويقولون : « كان مولده الهيا ، وكان طالعه طالعا جليلا ، ويسردون في ذلك حكايات هي بالأسمار أشبه فأضربت عن ذكرها ، وقالوا انه لما عزم على ترك الشعر الذي كان يعانيه ويبالغ في تعلمه عندما سمع من سقراط ما سمعه من أمره عزم على المضي الى سقراط والاخذ عنه فلسفة

فيثاغورس وقد كان شاركه فيها على فيثاغورس الا أنه لم يبالغ فيها لاشتغاله بالشعر • وان سقراط رأى في المنام كأن فرخ كركي قاعد على حجرة وأنه زغب وطلع ريشه للوقت فطار نحو السماء وهو يصوت بصوت الهي يطرب جميع الناس • فلما جاءه أفلاطون للتعلم تأوله ذلك الطائر وأن صوته كلامه ••• » •

ويذكر القفطي أيضا بأن أفلاطون سمع كلام فيثاغورس وهو دون العشرين من عمره ، ووضع كتب في الألحان • ولما طلب الفلسفة مشى الى جماعة أراقليطوس وكانت لهم طريقة في الفلسفة• فسمع منهم وتحقق أن طريقتهم في الحكمة يتعين عليها الرد •وأراد أن يجاهد نفسه في طلب الفلسفة الحقيقية فقصد سقراط لأن فيثاغورس كان قد مات ، وتصدر بعده سقراط فصادف سقراط وهو يخطب الجماعة المجتمعة اليه وكان قد جمعهم اليه ذيونوسيوس ، فلما سمع كلامه حرص كل الحرص على طلب الحكمة الفيثاغورية وترك ما كان عليه ، وأحرق كتب الشعر والاحاديث ، وأنشأ يقول : « يا أيها النار ادني من أفلاطون فان به الآن اليك

حاجة » . وكان عمره اذ ذاك عشرين سنة ، وسمع من سقراط بعد ذلك ولازمه مدة خمسين سنة حتى بلغ في الأمور العقلية الى منزلة فيثاغورس ، وفي سياسة المدينة الفاضلة الى مرتبة سقراط وشهد له بذلك أهل العلم في زمانه .

ويواصل القفطي حديثه عن أفلاطون فيذكر مغادرته أثينا وتوجهه الى صقلية بحثا عن بعض الكتب العرفانية : « ولشدة طلبه في العلم وحرصه على جمع الكتب سافر الى صقلية ثلاث دفعات ليحصل منها الكتب ، ويطلع على أسرار حكمة الأمور الالهية . فأول دفعة سافر فيها اليها كان لعزمه أن يرى النار التي تخرج من هناك من الارض دائما ، تخف في الصيف وتزيد في الشتاء .

وكان المستولي على صقلية في ذلك الوقت رجل يوناني قد تغلب عليها اسمه ذيونوسيوس ، وكان جبارا قد ملك البلاد باليد لا بالأصالة ، ولما سمع بقدوم أفلاطون أمر باحضاره ، فلما حضر اليه صادف عنده سقراط ، وقد جمع له علماء الجزيرة، وهو يخطبهم على ما تقدم شرحه .

ولما حضر أفلاطون للمجلس طلب منه جبار صقلية هذا المذكور ، أن يتكلم بشيء من خطبه وشعره فخطب خطبا كثيرة في حضرته ، وكان فصيحا عذب الألفاظ محكما لما يورده من طريقته التي هو عليها ، وقال في بعض خطبه : ان أجود السير وأفضلها التي تكون على الناموس والسنن • وظن الجبار ذيونوسيوس أنه قصده بهذا القول لأجل تغلبه بغير استحقاق لما وليه فأسرها في نفسه ولم يبدها •

وكان هذا الجبار يعاني الشعر وشيئا من الحكمة الغير محققة ، وله تلاميذ في ذلك وأصحاب ، واذا سمع بعالم تحيل في احضاره ومناظرته واقامة الحجة على صحة قصده الذي هو عليه ، واتفق أن قال لأفلاطون : هل ترى في أصحابي سعيدا ؟ وظن أن أفلاطون سيقول بحضور الجميع : انك سعيد • فيحصل له بهذا القول مرتبة توجب له الاستحقاق لما تغلب عليه • فقال له أفلاطون غير محاش له : ليس في أصحابك سعيد • فسأله بعد ذلك وقال : فهل ترى أنه كان من القدماء سعيد ؟ فقال : كان فيهم سعداء غير مشهورين ، وأشقياء اشتهروا • وعناه بذلك ، فأسرها الجبار ولم يبدها ، ثم قال

له الجبار : فأراك على هـذا القول لا تـرى أن أرقليس من أهل السعادة أيضا ؟ وأرقليس هـذا كان شاعرا من شعراء اليونان وكان قد عمل أشعار وذكر فيها هذا الجبار ووصفه ولحن تلك الاشعار وجعلها في هياكل جزيرة صقلية يُذكر بها في كل وقت ، وكان هذا الجبار يعظم الشعر والشعراء ، لأجل ذلك يثبت لمدحه أصلا • فقال له أفلاطون مجيبا على سؤاله : ان كنا نرى أن أرقليس كـان كالذي ينبغي أن يكون من كان من نسل « اذيا » يعني المشتري فباضطرار ينبغي أن تظن به أنـه سعيد ، وأما ان كان وصفتموه أنتم معاشر الشعراء وكانت سيرته على ما تذكرون فانـه عندي مـن الأشقياء وذوي رداءة البخت •

فلما سمع ذيونوسيوس الجبار منه هذا القول لم يحتمل جرأته وأمر به فدفع الى بوليذس الذي كان من أهل الأقاذامونيا • وكان قد وفد على هذا الجبار ليهادنه على بلاده ، وأمره الجبار بقتـل أفلاطون ، فأخذه بوليذس وذهب به الى أغنيـاء مدينته وأبقى عليه ولم يقتله ، وباعه من رجل من أهل النهر وان اسمه أنناق ں • وكان هذا الرجل يحب أفلاطون ويتشبه بأخلاقه وان لم يره قبل ذلك

وانما كان يسمع ما ينقل اليه من أخباره وكان الثمن الذي ابتاعه به ثلاثين منافضة ٠

وكان لذيونوسيوس الجبار نسيب اسمه ذيون قد حضر مجالس أفلاطون بصقلية وسمع كلامه ومال اليه كل ميل ٠ ولما سمع ما جرى على أفلاطون عز عليه ولم يمكنه مجاهرة الجبار فسير في السر ثمن أفلاطون وهو ثلاثون منا الى النهرواني مبتاعه وسأله بيعه منه ، فلم يفعل النهرواني ذلك وقال : هذا حكيم مطلق لنفسه ، وانما وزنت المال لأنقذه من أسره ، وسيصير الى بلاده في سلامة وخير ٠ فلما سمع ذيون نسيب الجبار هذا القول استرجع الثمن وسيره الى أقاذاميا واشترى به بساتين هناك ووهبها لأفلاطون فمنها كانت معيشته مدة حياته ٠٠ » ٠

ويقول القفطي أن ذيونوسيوس ندم على ما ارتكبه بحق أفلاطون فحاول استمالته اليه بعد أن قدم له الاعتذار ، ووعده ببعض الكتب العرفانية ، لذلك عاد أفلاطون ثانية الى صقلية لأخذها ٠ ولما وصل أفلاطون الى صقلية وجد ذيونيوس مشغولا بالحروب والاضطرابات الداخلية فعاد الى أثينا ، ولكنه عاد للمرة الثالثة الى صقلية لفض النزاع

الذي كان قد ذر قرنه بين ذيونيوس ونسيبه ذيون، وبالفعل استطاع بما له من مكانة سامية وتقدير عظيم في قلب ذيون أن يفض النزاع ويعود الى بلاده • ويذكر القفطي ان أفلاطون تزوج امرأتين احداهما يقال لها « الستانيا » وهي من بلاد « أرقاديا » والأخرى « أقسوثيا » وهي من بلاد « فليوس » •

ولما أدركته الوفاة دفن في بساتين « أقاذاميا » وقد سار بجنازته كل سكان أثينا • ويشير القفطي الى أن الذي خلفه أفلاطون بعد وفاته مملوكين وقدحا ، وجاما ، وقرطا من ذهب كان يلبسه وهو غلام للدلالة على أنه من الأشراف •

وكان دعاء أفلاطون قوله : « يا روحانيتي المتصلة بالروح الأعلى تضرعي الى العلة التي أنت معلولة من جهتها لتتضرع عني الى العقل الفعال في صحة مزاجي ما دمت في عالم التركيب » • ويقال بأن أفلاطون قد توفي أثناء حرب فيلبوس المقدوني على أثينا ، فلم يشهد ما أصاب وطنه من انحطاط لم تقم له من بعده قائمة •

هذه لمحة عن حياة أفلاطون الحكيم العبقري الذي

اتصف بالذكاء الخارق ، والخيال الخلاق الخصب المبدع البناء الذي عم أثره العالم في شتى الاحقاب والعصور • فكانت آثاره الفكرية ولا تزال البحر العرفاني الواسع الذي يغرف منه طالبوا الحكمة ومحبي الفضيلة والمثالية • ولا غرو فان أفلاطون هو الحكمة ، والحكمة هي أفلاطون الذي رسم صورة المثالية الخيرة المعطاةلكل الانظمة الاجتماعية التي توفر للانسان الحياة الافضل في ظل العدل والحكمة ونكران الذات •

وليس بمقدور الانسان العارف الواعي المدرك الا أن ينحني مقدرا ومعظما هذه العبقرية الفذة التي غاصت في أعماق النفس فعرفتها حق المعرفة ، عندما يسبر أعماق جمهوريته المثالية التي جعل منها موسوعة ضخمة تضم علم النفس وعلم التربية، وخططه السياسية والاجتماعية والاخلاقية ، التي تهدف الى رفع مستوى الانسان حتى يبلغ درجة الكمال المطلق في ظل الدولة الفاضلة التي يدير شؤونها نخبة من الحكماء العارفين المدركين لماهية الموجودات العلوية والسفلية •

فهؤلاء وحدهم بما أوتوه من عقلية عرفانية

مبدعة باستطاعتهم أن يؤمنوا المساواة في الحقوق والواجبات لجدارتهم في قيـادة الشعوب كونهـم مسلحون بالحكمة وبأسمى ما في الوجود من مقاييس الخير والكمال ، يمارسون الفضائل التي تأمر بها الحكمة • وفي رأي أفلاطون لن تتوفر السعـادة الكاملة للعالم الا اذا حكمه الفلاسفة الحكماء الذين توصلوا الى معرفة حقائق الاشياء فميزوا بينها عن طريق البحث العلمي الصحيح ، فانكشف لهم علم كل شيء ، وأصبحت الاشياء كلها واضحة بارزة لهم كبروزها ووضوحها لله تعالى •

آثار أفلاطون العقلانية .

من الملاحظ ان أفلاطون كان غزير المادة خلف مصنفات كثيرة أغلبها وضع على طريقة المحاورة بالاضافة الى بعض المقالات عن الشرائع والجمهورية• ومجاوراته تدور حول تعليم أستاذه ومعلمه سقراط وهو يتكلم ويحاور تلاميذه المستفيدين من علومه العقلانية •

ويبدو أن هذه المحاورات لم تكن سوى تفاعلات عقلانية حقانية استقاها من مدرستـي فيثاغورس

وهاركليتوس ، فشذبها ونسقها ونفخ فيها من روحه المثالية حتى جاءت كما هي عليه من السمو والكمال الهادف الى نشر الفضيلة والدعوة الى التخلق بالأخلاق الفاضلة الناهدة الى اثبات وحدانية الله العاقل الحكيم القادر على كل شيء ، الذي تخرج منه جميع الكمالات لأنها من موجوداته • وفي عقل الله توجد أشكال أزلية كائنة بذاتها ، لازمة الوجود ، ثابتة ، هي أمثلة لكل ما وجد وسيوجد وممكن الوجود ، والنفس خالدة هبطت من العالم المعقول •

من هذه المنطلقات الماورائية انطلقت فلسفة أفلاطون لتفعل وتبني في أعماق النفوس الانسانية التواقة الى الخلود السرمدي في أحضان الفضيلة والمثالية • ومما لا شك فيه بأن أفلاطون قد عالج في مصنفاته الكثير من النواحي الاجتماعية التي كانت تتسلط على البيئة اليونانية ، وخاصة ما يتعلق منها بالأخلاق الفردية والأسرة والسلوك الانساني ، وتحديد النسل وتحسينه • وتكلم عن التوحيد والتجريد والتنزيه والحكمة ، والقوة والحق ، وذهب الى أن العدالة هي مصلحة الأقوى ، وقال بحدوث العالم وبقاء النفس وكونها جوهرا

روحانيا ، ودعا الى تحقير الجسد وملذاته والى التطهير من الخطايا ٠

ولقد أودع كتابه الخالد « الجمهورية » ميتافيزياءه ولاهوته وأخلاقه الوضعية وعلم نفسه، وسياسته ونظريته في الفن والمرأة باعتبارها خلية اجتماعية ٠ وذكر بأن حفنة من القوة لأفضل من حقيبة مليئة بالحق ٠ وفي كتبه بحث بعض الامور المنطقية فتحدث عن فن التقسيم والتحديد والبرهنة والاستنتاج ٠

وذهب الى أن مصدر المعرفة هي النفس وليس الحواس ، لأن كل ما يمكن للنفس أن تقتبسه هو موضوع العلوم ، وما لا تتصل اليه الا بواسطة الحواس هو معرض للخطل والشك ٠ وعلى هذه المثابة تكون النفس ينبوع الحقائق الثابتة الاكيدة، وهذه الحقائق الثابتة تعرفها النفس بتذكرها ما تعرفه قبل اتحادها بالجسد ونسيته بعد هذا الاتحاد ، وما الكليات فينا الا تذكارات لما كانت تعرفه النفس قبلا ، لاستحالة معرفتها الكليات بواسطة الحواس التي لا تقتبس الا الجزئيات ٠ فالعين ترى الانسان ، أما الانسانية فالنفس تعرفها

لأنها كانت تراها قبل اتحادها بالجسد • أما في باقي المعارف التي تتصل اليها النفس بعد اتحادها بالجسد فتحفظ في الذاكرة •

ومن الملاحظ أن أفلاطون يعتبر أول حكيم يوناني وصلت كتبه كاملة الى بين أيدينا ، وهي كثيرة تتفاوت طولا وقصرا • منها محاورات ومنها رسائل • وقد نسب اليه الأقدمون ستة وثلاثين مصنفا ، قسمت الى تسعة أقسام سميت « رابوعات » لاحتواء كل قسم على أربعة مصنفات •أما المحدثون فانهم رتبوها بحسب صدورها ليمكن تتبع فكر الفيلسوف في تطوره • فقسموها الى طوائف ثلاث معتمدين على كتاب « القوانين » في الأسلوب الادبي والفلسفي • فالمحاورات التي أسلوبها بعيد عن أسلوب « القوانين » هي مصنفات الشباب ، والمحاورات هي مصنفات الكهولة ، والمحاورات التي يظهر فيها الجدل الدقيق والجفاف فهي محاورات الشيخوخة •

أما مصنفات الشباب فتسمى « بالسقراطية » لأن منها ما هو دفاع عن سقراط واحتجاج على اعدامه وبيان لآرائه ، ومنها ما هو مثال للمنهج

السقراطي • فمن الناحية الأولى نجد احتجاج سقراط أو دفاعه أمام المحكمة • وأقريطون يذكر فيها ما عرضه هذا التلميذ من الفرار ، وما كان من جواب سقراط ، « أو طيفرون » يصف فيها موقف سقراط من الدين ، « غورغياس » في نقد بيان السوفسطائيين وفي أصول الاخلاق ، « بروتاغوراس » في السوفسطائي ، ما هو ، وما الفائدة من تعليمه ، وهل يمكن تعليم السياسة والفضيلة ، والمقالة الأولى من كتاب « الجمهورية » في العدالة ، هل هي وضعية أم طبيعية ، والكتاب معروف عند العرب باسم « بوليطيا الصغير » ويعرف أيضا عندهم باسم « كتاب السياسة » •

وأما محاورات الكهولة فقد كتبها بعد عودته من سفرته الأولى الى ايطاليا الجنوبية وانشائه الأكاديمية ، فان الافكار الفيثاغورية ظاهرة بوضوح فيها • وهي تنقسم الى طائفتين : تشمل الطائفة الأولى ، « منكسينوس » يبسط فيها رأيه في البيان بعد أن نقد في « غورغياس » رأي السوفسطائية فيه • و « مينون » الذي حاول فيها أن يحد الفضيلة ، فيعرض نظريته في أن العلم تذكر معارف مكتسبة في حياة سماوية سابقة على

الحياة الارضية ، « المأدبة » أو « سمبوسيوم » أو « النادي » عند الاسلاميين ، يدرس الحب ويشرح مذهبه في الحب الفلسفي ، « فيدون » أو « فاذن » يصور المثل الأعلى للفيلسوف ويدلل على خلـــود النفس ويسرد قصة موت سقراط ، « الجمهورية » وهي تسع مقـــالات يرسم فيهـــا المدينة المثلـــى ، « بارمنيدس » يراجع فيه نظرية المثل ،«تيتيانوس» يجد فيها العلم ويعلل الخطاء ، ويشرح الحكـــم في حالتي الصدق والكذب . وهو في هذه الفترة مهتم اهتماما خاصا بمسائـــل المنطق والميتافيزيقـــا ، ومصنفاته جافة بالقياس الى التي سبقتها .

وتبدو محاورات الشيخوخة جافة عامرة بالجدل الدقيق . ففي « السوفسطائي » يحاول أن يجد حدا لهذا المخلوق العجيب ، ثم يتكلم في الفـــن وتقسيمه ، وفي تصنيف المعاني الى أنواع وأجناس، ويعود الى مسألة الخطأ والحكم ، ويحلـــل معنـــى الوجود واللاوجود . وفي « السياسي » (بوليطيقوس أو المدبر ، أو مدبر المدينة عند الاسلاميين) يسأل ما هـــو ، ويعـــود الى مسائـــل « الجمهوريـــة » ، « هليماوس » يصور تكوين العالم ، ويشـــير الى الصانع والطبيعة اجمالا وتفصيلا ، وفي «القوانين»

تشريع ديني ومدني وجنائي في اثنتي عشرة مقالة، وهذا الكتاب هو الوحيد الذي خلا من شخص سقراط ، وقد جمعت له أيضا رسائل خاصة ·

ولقد أشار القفطي الى أسماء بعض الكتب التي خلفها أفلاطون وترجمت الى اللغة العربية في كتابة تاريخ الحكماء وهي (١) : « وقد ذكر ثاؤن ما صنفه أفلاطون من الكتب ورتبه وهو كتاب السياسة، فسره حنين بن اسحق ، كتاب النواميس ، نقله حنين ويحيى بن عدي ، وكان يسمي كتبا بأسماء الرجال الطالبين لها وهي في فنون متعددة منها كتاب بالجنس « في الفلسفة كتاب لا خس في الشجاعة » كتاب أرسطوطاليس ، في الفلسفة كتاب خرميذس في العفة ، كتابان سماهما الفيناذس ، في الجميل كتاب أوتوذيمس ، في الحكمة كتابان سماهما أقناه، كتاب غورجياس ، كتاب أوثوفرن ، كتاب اسين ، كتاب فاذن ، كتاب قريطن ، كتاب تالططس ، كتاب قيلوطوفن ،كتاب قراطولس ،كتاب سوفسطس كتاب طيماؤس أصلحه يحيى بن عدي ، كتاب

---

(١) القفطي : تاريخ الحكماء ص ١٨ ·

فرمانيذس ، كتاب فدرس ، كتاب ماتن ، كتـاب مينس ، كتاب أبرخيس ، كتاب مانكسانس ، كتاب اطليطفرس ، كتاب طيماؤس ثلاث مقالات ، كتاب المناسبات ، كتاب التوحيد ، كتاب في العقل والنفس والجوهر والعرض ، كتاب الحس واللذة ، كتـاب مسطسطس ، كتاب تأديب الاحداث ، كتاب أصول الهندسة ، وله رسائل موجودة • وقال ثاؤن أفلاطون يرتب كتبه في القراءة وهو أن يجعل كل مرتبـة اربعة كتب يسمي ذلك رابوعا ••• » •

ويذكر ابن أبي أصيبعة الكتب المنسوبـة الى افلاطون فيقول (١) : « كتاب فيما ينبغي ، كتاب في الأشياء العالية ، كتاب المناسبات ، كتاب التوحيد ، كتاب في النفس والعقل ، والجوهر والعرض ، وكتاب الحس واللذة ، وكتاب تأديب الاحـداث ووصايـاهم ، كتـاب معاتبـة النفـس ، كتـاب الهندسة » •

أفلاطون والحكمة العقلانية :

تعتبر المحاورات الافلاطونية تجسيدا لما يتفاعل

(١) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء جـ ١ ص ٥٤ •

في أعماق هذا الحكيم من انفعالات عقلانية تنهد الى توعية النفوس الانسانية الناهدة الى المعرفة الحقة، والادراك العقلاني الفعال ، الذي ينقل النفوس من القوة الى الفعل ، ويصور الأحاسيس والمشاعر أدق تصوير ينسجم مع أهداف المحاورة ومنطلقاتها الدرامية ، والنقاشية ، بالاضافة الى الشروحات العميقة التي تمهد للقاريء الفهم والوعي ،وتدله على المسالك الخيرة المثالية في المجتمعات التي يعيش فيها •

ويلاحظ أن أفلاطون قد وقف أكثر محاوراته على سقراط وأظهره في جميع أدوار حياته ، وهو يناقش ويجادل بحسب الظروف ، السوفسطائيون والحكماء والشعراء والسياسيون ، مما جعل محاورات أفلاطون تجسد جميع تفاعلات عصره ومحيطه • وليست المناقشات التي يجريها أفلاطون بشكل محاورة سوى أسلوب سلس عميق يهدف الى اظهار الحقيقة التي يبحث عنها ويرسم لها اطارا للتعبير عن أفكاره العرفانية عن طريق الرمز والاشارة ليتوصل الى البرهان الحقاني ، وليمثل الماورائيات على وجه الكمال والدقة • فهو تارة يسرد أحوال النفس قبل اتصالها بالبدن أو بعد

مفارقته ، ويصف العالم الروحاني ويرسم خريطته على طريقة هوميروس في الأوذيسية، وتارة يصور ما كانت عليه الانسانية الأولى من حياة سعيدة قبل ظهور المجتمع السياسي ، وطورا يقص تاريخ الارض ويشير الى قارة أتلنتيدا وأهلها ، وأخرى يحكي كيفية تكوين العالم وابداع الموجودات العقلية .

أما في سلوكه الفلسفي فقد اتخذ من التوفيق والتنسيق منهجا عرض فيه أفكاره العقلانية التي تتكوم في مخيلته العارفة بعوالم الوجود والموجودات بصيغة عقلية مدعومة بسلسلة من البراهين والأدلة المقنعة المنبثقة بدقة وتوسع من خلال تطلعاته الحقانية ، الناهدة الى اخضاع المحسوس للمعقول ، والحادث للضروري ، وادراك الماهيات المجردة من كل مادة .

المعرفة عند أفلاطون :

المعرفة الأفلاطونية ذاتية يرجعها الى الطريق الذي به يتخلص العقل من الاشياء المحسوسة الى الأمور المعقولة دون استخدام شيئا حسيا بل تنتقل

الأمور المعقولة من معان الى معان بواسطة معان ذاتية باعتبارها علم كلي بالمباديء الأولى والامور الدائمة يصل اليها العقل بعد معرفته العلوم الجزئية ، ثم يهبط منه الى هذه العلوم يشدها بمبادئها ، والى المحسوسات يفسرها ، والجدل باعتباره منهج وعلم ، يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل الى أعلى وبالعكس ، ومن حيث هو علم فهو يقابل نظرية المعرفة بمعنى أشمل يضم المنطق والميتافيزيقا جميعا (١) •

ومن الواضح أن أفلاطون يعتبر الحكيم الاوحد الذي عالج قضية المعرفة العقلانية لذاتها • وأفاض فيها من جميع جوانبها • فقد شعر بنفسه أنه بين رأيين متعارضين : رأي بروتاغوراس وأقراطليلوس وأمثالهما من الهرقليطيين الذين يردون المعرفة الى الاحساس ، ويعتبرونها جزئية متغيرة مثله • ورأي سقراط الذي يضع المعرفة الحقة في العقل ، ويعتبر موضوعها الماهية المجردة الضرورية ، فاستقصى أنواع المعرفة ، فوجدها أربعة : الأول الاحساس ، ويعني ادراك عوارض الاجسام ، أو

---

(١) جمهورية افلاطون ص ٥٣٣ •

أشباحها في اليقظة وصورها في المنام • الثاني الظن والتخمين ، وهو الحكم على المحسوسات بمـا هي كذلك • والثالث الاستدلال ، وهو علـم الماهيات الرياضية المتحققـة في المحسوسـات • والرابـع التعقل ، وهو ادراك الماهيات المجردة من كل مادة• وهذه الانواع مترتبة بعضها فوق بعض ، تتأدى النفس من الواحد الى الذي يليه بحركة ضرورية الى آن تطمئن عند الاخير بحسب البيان التالي(١) :

١ ـ الاحساس أول مراحل المعرفة • ويدعي الهرقليطيون ان المعرفة مقصورة عليه وأنه ظاهرة قائمة بذاتها متغيرة أبدا ، ليس لها جوهر تتقوم به ولا قوة تصدر عنها ، ولكن لو كان الاحساس كل المعرفة كما يقولون ، لاقتصرت المعرفة على الظواهر المتغيرة ولم ندرك ماهيات الاشياء ، ولصـح قول بروتاغوراس ان الانسان مقاس الاشياء ، وان ما يظهر لكل فرد فهو عنده على ما يظهر ، فأصبحت جميع الآراء صادقة على السواء ، المتناقض منهـا والمتضاد ، وامتنع القول ان شيئا هو كذا أو كذا على الاطلاق ، ليس فقط في النظريات ، بـل في

---

(١) المصدر نفسه ص ٥١١ •

السياسة والاخلاق والصناعات أيضا ، فيستحيل العلم والعمل ولكنهما ممكنات ، فالقول مردود • وهو مردود كذلك من جهة انه ينكر الفكر كقوة خاصة ، والواقع ان الذاكرة والشعور بالتبعة ينقصان هذه الدعوى ، من حيث ان الذكر يعني دوام الشخص الذي يذكر • ثم ان فينا قوة تدرك موضوعات الحواس على اختلافها وتركبها معا في الادراك الظاهري ، فتعلم ان هذا الاصفر حلو ، بينما الحواس لا يدرك كل منها الا موضوعا خاصا وتفوته موضوعات سائر الحواس • وليس يكفي لفهم اللغة مثلا رؤية ألفاظها أو سماعها ، وانما الاحساس ينبه قوة في النفس لولاها ما كان فهم أبدا • ومع اشتراك العالم والجاهل في الاحساس، فان العالم وحده يتوقع المستقبل بعلمه ، ويؤيد المستقبل توقعه ، مما يدل على وجود قوة تعلم ، وقوانين ثابتة للاشياء • وهذه القوة تضاهي الاحساسات بعضها ببعض ، وتصدر عليها أحكاما مغايرة للحس بالمرة ، فتقول عن صوت أو لون مثلا انه عين نفسه وغير الآخر ، وانه واحد ، وانهما اثنان ، وانهما متباينان • جميع هذه العلاقات يحكم بها المركز المركب ، والمضاهاة

وادراك العلاقة فعلان متمايزان من الاحساس ، فليس الاحساس ، ولكنه حكم النفس على الاحساس، وبهذا الحكم يمتاز الانسان على الحيوان الاعجم مع اشتراكهما بالاحساس (١) ٠

٢ ــ والحكم يختلف باختلاف موضوعه ٠ فاذا كان الموضوع المحسوسات المتغيرة من حيث هي كذلك ، كان الحكم ظنا ، أي معرفة غير مربوطة بالعلة ، فلا يعلم للغير ٠ لأن التعليم تبيان الامور بعللها ، ولا يبقى ثابتا ، بل يتغير بتغير موضوعه في عوارضه وعلاقاته : انظر الى الطب والحرب والفنون الجميلة والآلية والسياسة العملية والعلوم الطبيعية ، تجدها جميعا متغيرة نسبية لتعلقها بالمادة ، لا تتناولها المعرفة الا في حالات وظروف مختلفة ٠ فليس الظن العلم الذي تتوق اليه النفس، اذ أنه قد يكون صادقا ، وقد يكون كاذبا ، والعلم صادق بالضرورة ٠ والظن الصادق نفسه متمايز من العلم لتمايز موضوعهما ، فان موضوع الظن الوجود المتغير ، وموضوع العلم الماهية الدائمة ، ثم ان العلم قائم على البرهان ، والظن تخمين ،

---

(١) تيتيالوس ص (١٥٣ و ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٨٤ ، ١٨٦) ٠

والظن الصادق نفحة الهية أو الهام لا اكتساب عقلي ، والظن بالاجمال قلق في النفس يدفعها الى طلب العلم (١) ٠

٣ ـ وترقى النفس درجة أخرى بدراسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ٠ كل هذه العلوم ، ولو أنها تبدأ من المحسوسات وتستعين بها ، الا أن لها موضوعات متمايزة من المحسوسات، ولها مناهج خاصة ٠ فليس الحساب عد الجزئيات كما يفعل التاجر ، ولكنه العلم الذي يفحص عن الاعداد أنفسها بصرف النظر عن المعدودات ، وليست الهندسة مسح الارض ، ولكنها النظر في الاشكال أنفسها ٠ ويختلف الفلك عن رصد السماء بأنه يفسر الظواهر السماوية بحركات دائرية راتبة ، بينما الملاحظة البحتة لا تقع الا على حركات غير منتظمة ٠

ويفترق العالم الذي يكشف النسب العددية المقومة للالحان ، عن الموسيقي الذي يضبط النغم بالتجربة ٠ فهذه العلوم تضع أمام الفكر صورا

---

(١) تيتيانوس ص ١٨٧ وميلون ص ٩٧ ، ٩٨ ٠ تيماوس ص ٥١ ٠

كلية ، ونسبا وقوانين تتكرر في الجزئيات ، لذا يستخدم الفكر الصور المحسوسة في هذه الدرجة من المعرفة لكن لا كموضوع بل كواسطـة لتنبيه المعاني الكلية المقابلة لها والتي هي موضوعة ، ثم يستغني عن كل صورة حسية ، ويتأمل المعانـي خالصة • وهو يستغنـي عن التجربـة كذلـك في استدلاله ، ويستخدم المنهج الفرضي الذي يضع المقدمات ، وضعا ويستخرج النتائج • مثال ذلك قد تعرض مسألة للمهندس أو الفلكـي فيقـول في نفسه : أفرض أن أحلها بالايجاب ، وانظر مـا يلزم من نتائج أو أفرض ان حلها بالسلب وانظر ما يخرج لي • فاذا وجد ان نتيجة كاذبة تلزم من فرض ما ، انتقل الى نقيض هذا الفرض وأخذ به • ولكن يلاحظ على هذا المنهج أمران : الاول انه قد يبين كذب فرض ما ولا يبين صدق الفرض الذي يقف عنده ، اذ قد تخرج نتائج صادقة من مقدمات كاذبة ، والثاني انه يرغم العقل على قبول النتيجة ولا يقنعه لأنه يأخذ المسائل من خلف ، ولا يستعمل الا حيث يتعذر النظر المستقيم • ويلاحظ علـى هذه العلوم انها لا تكفي أنفسها ، لأنها تضع (١)

---

(١) جمهورية افلاطون ص ٥٢١ و ٥٣٢ •

مبادئها وضعا ، ولا تبرهن عليها باستخراجها من مباديء عليا ، ويمتنع أن يقوم علم كامل حيث لا توجد مباديء يقينية • فالرياضيات معرفة وسطى بين غموض الظن ووضوح العلم • هي أرقى من الظن ، لأنها كلية تستخدم في الفنون والصناعات والعلوم ، وتعلمها ضروري لكل انسان ، وهي أدنى من العلم لأنها استدلالية •

٤ ـ عندما ندرك الماهيات المجردة من كل مادة ، مثلا نلاحظ الشيء الواحد كبيرا بالاضافة الى آخر ، صغيرا بالاضافة الى ثالث ، مما يدلنا على أنه في نفسه ليس كبيرا أو صغيرا ، وان الكبر والصغر معنيان مفارقان له نطبقهما عليه • وكأن يبدو لنا الشيء الواحد شبيها بآخر أو مضادا أو مباينا ، مساويا أو غير مساو ، جميلا خيرا عادلا ، الى غير ذلك من الصفات المفارقة للاجسام ،والمتعلقة من غير معاونة الحواس • فنتساءل عن الكبر والصغر والتشابه والتضاد والتباين والتساوي والجمال والعدالة وما اليها ، كيف حصلنا عليها وهي ليست محسوسة ، وهي ضرورية (١) لتركيب

---

(١) جمهورية افلاطون ٥٢٤ • فيدون ص (٧٤ـ٥ط) •

الأحكام على المحسوسات • فيلوح لنا حينئذ انها موجودة في العقل قبل الادراك الحسي • وعلى هذه الصورة يتدرج الفكر من الاحساس الى الظن الى العلم الاستدلالي الى التعقل المحض ، مدفوعا بقوة باطنة ، لأنه في الحقيقة يطلب العلم الكامل الذي يكفي نفسه ويصلح أساسا لغيره •

نظرية المثل الأفلاطونية :

من الواضح والحالة هذه أن تكون تلك المعاني الضرورية للحكم على المحسوسات موجودة في العقل قبل الادراك الحسي ، لأنها هي التي تجعل الحكم ممكنا ، ولأنها مجردة عن المادة وعوارضها ، كاملة ثابتة ، فلا يمكن أن تحصل في النفس عن الاجسام الجزئية المتغيرة ، فلا يبقى الا أنها حصلت في العقل عن موجودات مجردة كاملة ثابتة مثلها ، وان هذه الموجودات ، التي هي مباديء المعرفة ، هي أيضا مباديء الاجسام ، وان الجسم جزء من المادة يشارك في واحد من تلك الموجودات المجردة ، فيتشبه به ويحصل على شيء من كماله ويسمى باسمه • فالموجودات المجردة « مُثُل » الاجسام أحدها « مثال » يؤلف مجموعها « العالم المعقول » كما ان

مجموع الاجسام يؤلف العالم المحسوس ، والمثال هو الموجود بذاته ، والجسم شبح للمثال ، والمثال نموذج الجسم أو مثله الأعلى ، متحققة فيه كمالات النوع الى أقصى حد ، بينما هي لا تتحقق في الاجسام الا متفاوتة ، بحيث اذا أردنا الكلام بدقة لم نسم النار المحسوسة نارا بل قلنا أنها شيء شبيه بالنار بالذات ، وأن الماء المحسوس شيء شبيه بالماء بالذات ، وهكذا · والمثل هي مباديء المعرفة أيضا ، لأن النفس لو لم تكن حاصلة عليها لما عرفت كيف تسمي الاشياء وتحكم عليها ، والمثل معاييرنا الدائمة ، يحصل لنا العلم أولا وبالذات بحصول صورها في العقل · فهي الموضوع الحقيقي للعلم ، وهي علة حكمنا على النسبي المطلق ، وعلى الناقص بالكامل (١) ·

وكما ان الاجسام مترتبة بعضها فوق بعض في أنواع وأجناس ، فكذلك المثل حتى تنتهي الى واحد يسميه أفلاطون تارة مثال الخير ، ليدل على أن الخيرية مبدأ الايجاد والفيض ، وآخر بمثال الجمال ليدل على أن الغاية القصوى ليست في الجمالات

---

(١) فيدون ص ٩٩ · جمهورية افلاطون ص ٥٣٢ ·

الناقصة الزائلة بل في الجمال بالذات الكامل الدائم، وثالثة بالصانع يقصد به موجودا خيرا بالذات أراد أن يفيض خيريته فنظم المادة المضطربة محتذيا المثل ، فكان هذا العالم المنسجم الجميل ·

وقد نتساءل كيف عرفنا هذه المثل وليس بيننا وبين العالم المعقول اتصال مباشر فيما نعلم ؟ ان شيئا من التأمل والتفكر يدلنا على أننا نستكشفها في النفس بالتفكير · فحينما تعرض لنا مسألة نقع في حيرة ونشعر بالجهل ، ثم يتوضح لنا « ظن صادق » يتحول الى علم بتفكيرنا الخاص أي بجدل باطن ، أو بالأسئلة المرتبة يلقيها علينا ذو علم ، وما علينا الا أن نجرب الامر في فتى لم يتلق الهندسة ، نجده يجيب على الاسئلة اجابة محكمة ويستخرج من نفسه مباديء هذا العلم · فاذا كنا نستطيع أن نستخرج من أنفسنا معارف لم ينقلها لنا أحد ، فلا بد أن تكون النفس اكتسبتها في حياة سابقة على الحياة الراهنة (١) · كانت النفس قبل اتصالها بالبدن في صحبة الآلهة تشاهد فيما وراء السماء موجودات ليست بذات لون ولا شكل ،

---

(١) ميلون ص ٨٦ ·

ثم ارتكبت اثما ، فهبطت الى البدن • فهـي اذا أدركت أشباح المثل بالحواس تذكرت المثل (١) • فالعلم ذكر والجهل نسيان ، وكما ان الاحسـاس الحاضر ينبه في الذهن ما اقترب به في الماضي ، وما يشابهه أو يضاده ، وكما أننا نذكر صديقـا عند رؤية اسمه ، فكذلك تذكر الخير بالذات بمناسبة الخيرات الجزئية ، والمتساوي بالذات والجمـال بالذات بمناسبة الاشيـاء المتساوية أو الجميلـة وهكذا • فما التجربة الا فرصة ملائمة لعودة المعنى الكلي الى الذهن ، وما الاستقراء الا وسيلة لتنبيهه، أما هو في ذاته فموجود في النفس ومتصور بالعقل الصرف •

وهذا العالم المعقول مثلنا معه مثل أناس في كهف منذ الطفولة ، وأوثقوا بسلاسل ثقيلة بحيث لا يستطيعون نهوضا ولا مشيا ولا تلفتا ، وأديرت وجوههم الى داخل الكهف فلا يملكون النظـر الا أمامهم مباشرة ، فيرون على الجدار ضوء نـار عظيمة ، وأشباح أشخاص وأشياء تمر وراءهم •

(١) فيدروس ص ٢٤٦ •

ولما كانوا لم يروا في حياتهم سوى الاشباح ، فانهم يتوهمونها أعيانا • فاذا أطلقنا أحدهم وأدرنا وجهه للنار فجأة ، فانه ينبهر ويتحسر على مقامه المظلم ، ويعتقد ان العلم الحق معرفة الاشباح • ثم يفيق من ذهوله وينظر الى الاشياء في ضوء الليل الباهت ، أو الى صورها المنعكسة في الماء ، حتى تعتاد عيناه ضوء النهار ويستطيع أن ينظر الى الاشياء أنفسها ، ثم الى الشمس مصدر كل نور • فالكهف هو العالم المحسوس ، وادراك الاشباح المعركة الحسية ، والخلاص من الجهود ازاء الاشباح يتم بالجدل ، والاشياء المرئية في الليل أو في الماء الانواع والاجناس ، والاشكال ، أي الأمور الدائمة في هذه الدنيا ، والاشياء الحقيقية المثل ، والنار ضوء الشمس ، والشمس مثال الخير أرفع المثل ومصدر الوجود والكمال • فالفيلسوف الحق هو الذي يميز بين الاشياء المشاركة ومثلها ،ويجاوز المحسوس المتغير الى نموذجه الدائم ، ويؤثر الحكمة على الظن ، فيتعلق بالخير بالذات والجمال بالذات (١) •

---

(١) جمهورية افلاطون ص ٦١٤ • المقالة الخامسة •

الوجود عند أفلاطون :

يقول بعض المهتمين بالحكمة الافلاطونية ان نظرية أفلاطون في الوجود موافقة ومطابقة لنظريته في المعرفة بمعنى أنها تصعد من المحسوس الى المعقول ، وتخضع الاول للثاني · وقد سرد قصة حاله تجاه العلم الطبيعي فقال بلسان سقراط : « لما كنت شابا كثيرا ما قاسيت الأمرين في معالجة المسائل الطبيعية بالمادة وحدها على طريقة القدماء· وسمعت ذات يوم قارئا يقرأ في كتاب لانكساغوراس هو العقل الذي رتب الكل ، وهو علة الاشياء جميعا، ففرحت لمثل هذه العلة ، وتناولت الكتاب بشغف ، ولكني ألفيت صاحبه لا يضيف الى العقل أي شأن في العلل الجزئية لنظام الاشياء ، بل بالضد يذكر في هذا الصدد أفعال الهواء والأثير والماء وما اليها ، مثله مثل رجل يبدأ بأن يقول ان سقراط في جميع أفعاله يفعل بعقله ، ثم يعلل جلوسي هنا بحركات عظامي وعضلاتي ، ويعلل حديثي بفعل الاصوات والهواء والسمع وما أشبه ، ولا يعني بذكر العلل الحقة وهي : لما كان الأثينيون قد رأوا أحسن أن يحكموا علي،ورأيت أنا احسن أي أقرب الى العدالة

أن أتحمل القصاص الذي فرضوا علي ، فقد بقيت في هذا المكان ، ولولا ذلك لكانت عظامي وعضلاتي في مغياري أو في بويتيا حيث كان حملها تصور آخر للاحسن • فتسمية مثل هذه الاشياء عللا منتهى الضلالة • أما ان قيل : لولا العضلات والعظام فلست أستطيع تحقيق أغراضي ، فهذا (١) صحيح • وعلى ذلك فما هو علة حقا شيء ، وما بدونه لا تصير العلة شيء آخر • أي أن العلة الحقة عاقلة تلحظ معلولها قبل وقوعه وترتب الوسائل اليه ، فان شيئا لا يفعل الا اذا قصد الى غاية ، والغاية لا تتمثل الا في العقل ، وعند هذه الصخرة يتحطم كل مذهب آلي • ولما كان الموجود الوحيد الكفء للحصول على العقل هو النفس ، كانت العلل العاقلة نفوسنا تتحرك حركة ذاتية وكانت المادة شرطا لفعلها أو علة ثانوية خلوا من العقل ،تتحرك حركة قسرية (٢) وتعمل اتفاقا الا أن تستخدمها العلل العاقلة وسيلة وموضوعا وتوجهها الى أغراضها • والنفس غير منظورة بينما العناصر

---

(١) فيدون ص ٩٦ •

(٢) تيماوس ص ٤٦ •

والاجسام جميعا منظورة • وبذلك يتوصل أفلاطون عبر هذا المسلك الى عالم معقول يصفه بأنه الهي لاشتراكه في الروحية والعقل • ولكنه يوجد فيه مراتب ، ويضع في ذروته الله •

وحتى يتم برهان أفلاطون على وجود الله يستخدم الحركة والنظام • ويرى أن هناك سبع حركات : حركة من يمين الى يسار ، ومن يسار الى يمين ، ومن أمام الى خلف ، ومن خلف الى أمام ،ومن أعلى الى أسفل ، ومن أسفل الى أعلى ، وحركة دائرية •

ويعتبر أفلاطون حركة العالم بما فيه من موجودات علوية وسفلية دائرية مرتبة ومنظمة لا يستطيعها العالم بذاته ، فهي معلولة لعلة عاقلة، وهذه العلة هي الله ، الذي أعطى العالم حركة دائرية على نفسه وحرمه الحركات الست الاخرى، ومنعه من أن يجري بها على غير هدى • ومن ناحية أخرى يقول أفلاطون : ان العالم آية فنية غاية في الجمال ، ولا يمكن أن يكون النظام البادي فيما بين الاشياء بالاجمال ، وفيما بين أجزاء كل منها

بالتفصيل ، نتيجة علل اتفاقية ، ولكنه صنع عقل كامل توخى الخير ورتب كل شيء عن قصد •

ويذهب أفلاطون الى أن الله روح عاقل محرك جميل خير عادل كامل ، وهو بسيط لا تنوع فيه ، ثابت لا يتغير ، صادق لا يكذب ، ولا يتشكل أشكالا مختلفة كما صوره هوميروس ومن لف لفه من الشعراء • وهو كله في حاضر مستمر ، فان أقسام الزمان لا تلائم الا المحسوس ونحن حينما نضيف الماضي والمستقبل الى الجوهر الدائم فنقول كان وسيكون (١) ، ندل على أننا نجهل طبيعته ، اذ لا يلائمه سوى الحاضر • وهو معني بالعلم بخلاف ما يدعيه السوفسطائيون محتجين بنجاح الاشرار ، فان الله ان كان لا يعني بسيرتنا فذلك اما لأنه عاجز عن ضبط الاشياء ، وهذا محال ، واما لأن السيرة الانسانية أتفه عنده من أن تستحق عنايته ، وهذا محال كذلك ، لأن كل صانع يعلم أن للاجزاء شأنها في المجموع فيعنى بها ، فهل يكون الله أقل علما من الانسان ؟ ان ساعة الأشرار آتية لا محالة ، هذا عن الشر الخلقي • أما الشر الطبيعي ، فما هو

---

(١) جمهورية افلاطون المقالة الثانية ص ٣٧٩ • تيماوس ص ٣٧ •

في ذاته الا نقص في الوجود ، أو خير أقل ، هو ضد يتميز به الخير كما يتميز الصدق بالكذب · لم يرده الله ، بل سمح به فداء للخير الفائض على العالم ، ويستحيل أن يكون العالم المصنوع خيرا محضا فيشابه نموذجه الدائم · هو اذن ناقص ، ولكنه أحسن عالم ممكن · وعناية الله تشمل الكليات والجزئيات أيضا بالقدر الذي يتفق مع الكليات ونحن نرى الطبيب يرعى الكل قبل الجزء ، والفنان يدبر أفعاله مقتضى الغاية ويرمي الى أعظم كمال ممكن للكل ، فيضع الجزء لأجل الكل ، لا الكل لأجل الجزء · كذلك حال الصانع الاكبر ، فان تذمر الانسان ، فلأنه يجهل ان خيره الخاص يتعلق به وبالكل معا على مقتضى قوانين الكل · فوجود الله وكماله وعنايته حقائق لا ريب فيها ،وانكارها جملة أو فرادى جريمة ضد الدولة يجب أن يعاقب عليها القضاء ، لأن هذا الانكار يؤدي مباشرة الى فساد السيرة ، فهو اخلال بالنظام الاجتماعي ·

وقد ينكر المرء الله بتاتا ، وقد يؤمن به وينكر عنايته ، وقد يؤمن به وبعنايته وينكر كماله وعدالته ، فيتوهم أنه يستطيع شراء رضائه بالتقدمات والقرابين دون النية الصالحة ·والبدعة

الثالثة أشنع من الثانية لأن الاهانــة فيها أعظــم والثانية أشنع من الأولى لنفس السبب ، فان انكار الله أهون من انكار عنايته مع الايمان به ، وانكار العناية أهون مــن تصور الله مرتشيــا ٠ الأولى والثانية جديرتان بالمناقشة ، أما (١) الاخــيرة فأحق بالسخط منها بالتنفيذ ٠

وهكذا نلاحظ بأن أفلاطون يعتقد بأن الله روح عاقل ، محرك ، منظم ، جميل ، خير ، عادل ، كامل٠ وهو بسيط لا تنوع فيه ، ثابت لا يتغير ، صادق لا يكذب ، ولا يتشكل أشكالا مختلفة كما صوره الشعراء ٠ وهو كله في حاضر مستمر ، فان أقسام الزمان لا تلائم الا المحسوس ونحن حينما نضيف الماضي والمستقبل الى الجوهر الدائم فنقول كان وسيكون ، ندل على أننا نجهل طبيعته ، اذ لا يلائمه سوى الحاضر ٠ وهو معني بالعالم ٠

أفلاطون والعالم :

شاء أفلاطون أن يبرهن عن كيفية تكوين العالم

---

(١) القوانين مقالة ١٠ ٠

في محاورة « تيماوس » الفيثاغوري ، الذي أنطقه فعبر عن تكوين العالم بأنه قائم على مباديء عقلية رياضية • وفضل أفلاطون أن تكون قصة التكوين التي يراها مبنية على الحوار والخطاب ليدل على ان العالم المحسوس لا يوضع في قضايا ضرورية ، فليس أمام العقل البشري الا الظن والتشبيه (١) • قال تيماوس : كل ما يحدث فهو يحدث بالضرورة من علة ، والعالم حادث قد بدا من طرف أول لأنه محسوس ، وكل ما هو محسوس فهو خاضع للتغير والحدوث وله صانع • ولما كان الصانع خيرا ، والخير بريئا من الحسد ، فقد أراد أن تحدث الاشياء شبيهة به على قدر الامكان • فرأى ان العاقل أجمل من غير العاقل ، وان العقل لا يوجد الا في النفس ، فصور العالم كائنا حيا عاقلا ، لا على مثال شيء حادث ، بل على مثال الحسي بالذات ، أجمل الأحياء المعقولة الحاوي في ذاته جميع هذه الأحياء كما ان العالم يحوي جميع الاحياء التي من نوعه • فالعالم واحد لأن صانعه واحد ، ونموذجه واحد ، وهو كل محدود ، ليس خارجه ما يؤثر

---

(١) تيماوس ص ٣٩ •

فيه ويفسده ، فلا تصيبه شيخوخة ولا مرض ، وهو كروي لأن الدائرة أكمل الاشكال ، متجانس يدور على نفسه في مكانه • أما نفسه فهي سابقة على الجسم ، صنعها الله من الجوهر الالهي البسيط ، والجوهر الطبيعي المنقسم ، ومزاج من الاثنين ، فكانت غلافا مستديرا للعالم تحويه من كل جانب، وتتحرك حركة دائرية ، وتحرك الباقي ، وتدرك المحسوس المنقسم والمعقول البسيط ، وتنفعل بالسرور والحزن والخوف والرجاء والمحبة والكراهية ، وتملك أن تخالف قانون العقل فتصير شريرة حمقاء ، وتضطرب حركتها فتنزل النكبات بالعالم (١) •

وأما جسم العالم فلما شرع الله يركبه أخذ نارا ليجعله مرئيا ، وترابا ليجعله ملموسا ، ووضع الماء والهواء في الوسط • غير ان هذه العناصر لم تكن كذلك منذ البدء ، وانما كان العالم في الاصل مادة رخوة أي غير معينة ، غامضة لا تدرك في ذاتها بل بالاستدلال كل ما نعقله عنها أنها موضوع

(١) المصدر نفسه ص ٣٧ •

التغير ، أو المكان والمحل الذي تحصل فيه الصور المعينة ، لأنه اذا كان الاصل معينا وكان له صورة ذاتية ، فليس يفهم التغير الذاتي • وعلى ذلك فليست العناصر مبادىء الاشياء ، لأنها معينة من جهة ، ولأنها من جهة أخرى تتحول بعضها الى بعض ، فيدلنا هذا التحول على أنها صورة مختلفة تتعاقب في موضوع واحد غير معين في ذاته • ألست ترى ان ما نسميه ماء اذا تكاثف صار ترابا وحجارة ، واذا تخلخل صار هواء ريحا ، وأن الهواء اذا اشتعل تحول نارا ، وأن النار اذا تقلصت وانطفأت عادت هواء ، وان الهواء اذا تكاثف صار (١) سحابا وضبابا ، وان هذه اذا تكاثفت جرت ماء ، وهكذا دواليك • هذه المادة الأولى كانت تتحرك حركات اتفاقية ، تلك الحركات الست التي قلنا ان الاشياء تتحرك بها اذا تركت وشأنها من غير نفس تدبرها • فاتخذت ذراتها على حسب تشابهها في الشكل ، وألفت العناصر الاربعة : النار مؤلفة من ذرات هرمية ، أي ذات أربعة أوجه تشبه سن السهم ، لذلك كانت أسرع الاجسام

---

(١) تيماوس ص ٤٨ ـ ٥٨ •

وأنفذها ، والهواء مؤلف من ذرات ذات ثمانية أوجه ، أي هرمين ، والماء من ذرات ذات عشرين وجها ، والتراب أثقل الاجسام من ذرات مكعبة • وبعد أن تنظمت المادة هذا النوع من التنظيم بتوزعها عناصر أربعة ، هو أقصى ما تستطيع أن تبلغ اليه بذاتها ، ظلت (١) العناصر مضطربة هوجاء كما يكون الشيء وهو خلو من الاله ، حتى عين الصانع لكل منها مكانة على ما ذكرنا ورتب حركته •

ثم فكر الصانع فيما عسى أن يزيد العالم شبها بنموذجه • ولما كان النموذج حيا أبديا ، فقد توخى أن يجعل العالم أبديا ، لكن لا كأبدية النموذج ، فانها ممتنعة على الكائن الحادث ، فعنى بصنع صورة متحركة للابدية الثابتة ، فكان الزمان يتقدم على حسب قانون الاعداد ، وكانت الايام والليالي والشهور والفصول ، ولم تكن من قبل • ورأى الصانع ان خير مقاس للزمان حركات الكواكب ، فأخذنا رواضع الشمس والقمر والكواكب الاخرى مشتعلة مستديرة ، وجعل لكل

---

(١) تيماوس ص ٥٢ ـ ٥٧ •

منها نفسا تحركه وتدبره • ولما كان مبدأ التدبير اليها بالضرورة ، فقد صنع هذه النفوس مما تخلف بين يديه بعد صنع النفس العالمية ، الا أنه جعل تركيبها أقل من تركيب هذه ، فكانت أدنى منها مرتبة ، ولكنها الهية مثلها عاقلة خالدة ، يأتيها الخلود لا من طيب عنصرها بل من خيرية الصانع تأبى عليه أن يعدم أحسن ما صنع •

ثم اتخذ منها أعوانا تصنع نفوس الاحياء المائتين • وانما مست الحاجة الى هذه النفوس لتتحقق في العالم جميع مراتب الوجود نازلة من أرفع الصور الى أدناها ، وليكون العالم كلا حقا • وانما وكل أمر صنعها الى النفرس الكواكب لأن كل صانع يصنع ما يماثله ، والصانع الاول لا يصنع الا نفوسا الهية ، فلا يكون هناك التفاوت المطلوب • أخذ اذن ما تخلف من الجوهرين الثاني والثالث ، وصنع مزيجا قسمه على الكواكب وكلف آلهتها أن تنزل أجزاء في أجسام مهيأة لقبوله ، وأن تضم اليه نفسين مائتين ، احداهما انفعالية ، والأخرى غذائية• أما الانفعالية فغضبية وشهوانية، تحس اللذة والألم والخوف والاقدام والشهوة والرجاء ، يضعونها في أعلى الصدر بين العنق

والحجاب لكي لا تدنس النفس الخالدة المستقرة في الرأس • وأما الغذائية فيضعونها في أسفل الحجاب، فصنع الآلهة الرجل كاملا بقدر ما تسمح طبيعته • والرجل الصالح يعود جزء نفسه الخالد بعد انحلال هذا المركب الى الكوكب الذي هبط منه ، ويقضي هناك حياة سعيدة شبيهة بحياة اله الكوكب • أما الرجل الطالح ، فان نفسه تولد (١) ثانية امرأة ، فان أصرت على شقاوتها ولدت ثالثة حيوانا شبيها بخطيئتها ، وهكذا ، بحيث لا تخلص من آلامها ولا تعود الى حالتها الأولى حتى تغلب العقل على الشهوة ، وتصعد السلم فترجع رجلا صالحا • ودرجات هذا السلم المرأة فالطير فالدواب فالزحافات فالديدان فالأحياء المائية ، أوجدتها الخطيئة والجهالة نازلة بها نحو الارض درجة فدرجة ، وهكذا كان الأحياء في ذلك الزمان واليوم أيضا ، يتحول بعضهم الى بعض بحسب ما يكسبون أو يخسرون من العقل • وأراد الآلهة أن يلطفوا أثر الحرارة والهواء في الانسان ـ مع ضرورتهما له ـ وأن يوفروا له الغذاء ، فمزجوا جوهرا مماثلا

---

(١) تيماوس ص (٣٧ ـ ٣٩) •

لجوهر الانسان بكيفيات أخرى وأوجدوا طائفة جديدة من الأحياء هي الاشجار والنبات والبذور ، تحيا بنفس غذائية ، وليست هذه النفس عاقلة ، ولكنها تحس اللذة والألم والشهوة ، فهي منفعلة ، وليست فاعلة اذ قد حرمت الحركة الذاتية فكانت جسما مثبتا في الارض ·

النفس عند أفلاطون :

يرى أفلاطون ان النفوس الانسانية كانت في عالم الكواكب تتبعها ، كما في عربة ، لتطل على عالم المثل · وعجزت في احدى محاولاتها ، عن اللحاق بنفوس الكواكب ، وبلوغ قبة السماء ، ومشاهدة عالم المثل ، فهبطت من علوها ، وحلت في أبدان بشرية ، ولم يكن هبوط النفس من عالمها العلوي ، سوى جناية وعقابا على ما ارتكبته من أفعال في عالمها السماوي ·

ويذهب بعض الباحثين الى أن رأي أفلاطون في ماهية النفس وعلاقتها بالجسم لا يخلو من التردد والغموض · ففي المحاورة الواحدة (فيدون) يعد

الحياة والحركة للجسم ، دون أن يبين ارتبـاط هاتين الخاصتين ، ولا أيتهما الاساسية • كذلـك الحال في علاقة النفس بالجسم ، فتارة يعتبرهمـا متمايزين تمام التمايز ، فيقول ان الانسان النفس، وان الجسم آلة ، وتارة يضع بينهما علاقة وثيقة ، فيرى ان الجسم يشغلها عن فعلها الذاتي (الفكر) ويجلب لها الهم بحاجاته وآلامه ، وانها هي تقهره وتعمل على الخلاص منه (١) دون أن يبين أفلاطون ماهية هذا التفاعل ، بل هو يرى بهذا التفاعل أنه علاج الجسم بالنفس والنفس بالجسم (٢) وقيام الشعور والادراك في النفس عند تأثر الجسم بالحركة المادية ما بين هذه الحركة والظاهرة النفسية من تباين •

وفي كتابه « الجمهورية » (٣) يرجع الافعال النفسية الى ثلاثة : الادراك والغضب والشهوة ، ويسأل هل يفعل الانسان بمباديء ثلاثة مختلفة ، أم ان مبدأ واحدا بعينه هو الذي يدرك ويغضب

---

(١) فيدون ص ٦٤ – ٦٦ •

(٢) تيماوس ص ٨٩ •

(٣) جمهورية افلاطون مقالة ٤ ص ٤٤٠ •

ويحس لذات الجسم ؟ فيقرر ان المباديء عدة ، لأن شيئا ما لا يحدث ولا يقبل فعلين متضادين في وقت واحد ومن جهة واحدة ، فلا يضاف اليه حالات متضادة الا بتمييز أجزاء فيه ، فيجب أن نميز في النفس جزءا ناطقا وجزءا غير ناطق ، لما نحسه فينا من صراع بين الشهوة تدفع الى موضوعها والعقل ينهي عنه • ولنفس السبب يجب أن نميز في الجزء غير النطقي بين قوتين هما الغضب والشهوة : الغضب متوسط بين الشهوة والعقل ، ينحاز تارة الى هذا ، وطورا الى تلك ، ولكنه يثور بالطبع للعدالة ، ونحن لا نغضب على رجل مهما يسبب لنا من ألم اذا اعتقدنا أنه على حق ، لذلك كثيرا ما يناصر الغضب العقل على الشهوة ،ويعينه على تحقيق الحكمة في ما هو خلو من العقل والحكمة (١) • وهذا كلام لا غبار عليه اذا أريد به تمييز قوى ثلاث في النفس الواحدة ، ولكنا رأينا أفلاطون في « تيماوس » يضع في الانسان ثلاث نفوس ، ويعين لكل منها محلا في الجسم ، فيضيف الى صعوبة التوفيق بين النفس والجسم صعوبة

---

(١) جمهورية افلاطون المقالة الرابعة ص ٤٣٦ •

التوفيق بين النفوس الثلاث • وبينا هو في « فيدروس » يشبه النفس في حياتها السماوية الأولى بمركبة مجنحة ، الحوذي فيها العقل ، والجوادان الارادة والشهوة (١) ، واذا بكلامه في « تيماوس » يشعر بأن الغضبية والشهوانية صنعهما الآلهة للحياة الارضية والوظائف البدنية •

ومسألة خلود النفس أخذت الكثير من عناية واهتمام أفلاطون فأشار اليها في جميع مصنفاته ، وأفرد لها « فيدون » • لما كان يشعر به من خطورة هذه المسألة الهامة وضرورة بحثها ومعرفة كنهها • يدور الحديث في « فيدون » بين سقراط واثنين من الفيثاغوريين ، هما سمياس وقابس ، فنرى فيها ثلاثة أدلة على خلود النفس : يشرع أفلاطون بأبسطها تناولا وهو التناسخ وتداول الاجيال البشرية فيقول : اذا كان صحيحا أن النفس التي تولد في هذه الدنيا تأتي من عالم آخر كانت ذهبت اليه بعد موت سابق ، وان الاحياء يبعثون من الاموات ، ينتج لنا أن النفس لا تموت بموت الجسم • ولكن هذا تسليم برأي متواتر لا تدليل ،

(١) ص ٢٤٦ •

ويسكت سقراط ، كما يسكت الجميع · وبعد فترة يقول سيمياس : ان العلم بحقيقة مثل هذه الأمور ممتنع أو عسير جدا في هذه الحياة ، ولكن من الجبن اليأس من البحث قبل الوصول الى آخر مدى العقل ، فيجب اما الاستيثاق من الحق ، واما ـ ان امتنع ذلك ـ استكشاف الدليل الاقوى والتذرع به في اجتياز الحياة ، كما يخاطر المرء بقطع البحر على لوح خشب ، ما دام لا سبيل لنا الى مركب أمتن وآمن ، أعني الى وحي الهي · ويقول قابس : ان كل ما يلزم من الدليل الاول بفروعه الثلاثة هو ان النفس كانت قبل الولادة ، ومن الثاني انها شبيهة بالمثل ، فمن هذين الوجهين لا تتنافى خصائصها مع البقاء · أما البقاء نفسه فلما يقم الدليل عليه ، اذ من يدرينا ؟ لعل النفس تفنى بتلاشي قوتها بعد أن تكون تقمصت أجساما عدة (١) · هنا يعتمد أفلاطون على نظريته في المشاركة ويورد دليلا ثالثا فيقول : لما كانت النفس حياة فهي مشاركة في الحياة بالذات ، ومنافسة للموت بالطبع وليست تقبل الماهية ما هو ضد لها ،

---

(١) ص (٨٦ - ٨٨) ·

لذلك يحاول ربط هذا الرأي بقضية كبرى واستخراجه منها نتيجة لازمة فيقول : اذا نظرنا في التغير بالاجمال ، وهو قانون العالم المحسوس ، وجدناه تبادلا دائرا بين الاضداد ، يتولد الاكبر من الاصغر ، والاحسن من الاسوأ ، وبالعكس ، فتصح لدينا العقيدة القديمة بأن الحياة تبعث من الموت • ولو لم يكن الامر كذلك لكانت الاشياء قد انتهت الى السكون المطلق • واذن فقد كانت النفس قبل الولادة ، وستبقى بعد الموت • ويتأيد هذا الدليل من ناحية أخرى : ذلك ان هناك ضدين هما العلم والجهل ، وبعثا من نوع آخر هو تذكر المثل بعد نسيانها ، فاذا كانت النفس قد عرفت المثل قبل هبوطها الى الارض فليس ما يمنع بقاءها بعد الموت (١) • والدليل الثاني يدور على تعقل المثل : فان هذه بسيطة ، ومن ثمة فهي ثابتة ، اذ ان المركب هو الذي ينحل الى بسائطه ويتحول ، اما البسيط فلا يجوز عليه تحول أو انحلال ، فلا بد أن تكون النفس التي تعقل المثل شبيهة بها ، على حسب القول القديم • وعلى ذلك فالنفس بسيطة ثابتة •

---

(١) ص ٧٧ • جمهورية افلاطون المقالة العاشرة ص ٦٠٨ •

فالنفس لا تقبل الموت • فيقتنع قابس ، ويعلن سيمياس أنه مقتنع أيضا ، الا أن شعوره المزدوج بعظم المسألة وبالضعف البشري يضطره الى بعض التحفظ بازاء هذه الأدلة على وجاهتها • فيسلم له سقراط بحقه في هذا التحفظ ، ويزيد قائلا : بل ان المقدمات أنفسها مفتقرة الى بحث أوكد •

الأخلاق الأفلاطونية :

ميز أفلاطون بين العقل والحس ، والنفس والجسم ، وكذلك فرق بين اللذة والألم من جهة ، والفضيلة والرذيلة من جهة أخرى في قضية الأخلاق • واستعرض كافة الآراء والافكار التي تقدمته في المعرفة ، والآليين ، في الطبيعة ، وناقش السوفسطائيين وتلامذتهم القائلين : ان القانون الخلقي الذي يخشاه الناس انما هو من وضع الناس كالقانون المدني ، لا من وضع الطبيعة ، بل ان الطبيعة تأباه وتعارضه • فبحسب الطبيعة الامر الأقبح هو الاخسر ، والاخسر تحمل الظلم ،وبحسب القانون الخلقي ارتكاب الظلم هو الاخسر الاقبح•

ووجد هذا الاختلاف في أن القانون سنة الضعفاء

والسواد الاعظم بالاضافة الى مصلحتهم الخاصة ، فعمدوا الى تخويف الاقوياء وصدهم عن التفـوق عليهم ، وذهبوا الى أن الظلم يقوم بالذات في ارادة التسامي والتعالي على الآخرين ، ولكن الطبيعـة تقدم الدليل على أن العدالة الصحيحة تقضي بأن يتفوق الاحسن الاقدر ، فترينا ان هذا هو الواقع في كل موطن : في الحيوان والانسان ، في الأسر والمدن ، وان علامة العدالة سيادة القوي علـى الضعيف ، واذعان الضعيف لهذه السيادة • هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الكل يطلب السعادة، فكيف يستطيع أن يعيش سعيدا من يخضـع لأي شيء كان ، قانونا أم انسانـا ؟ الا أن العدالـة والفضيلة والسعادة بحسب الطبيعـة أن يتعهـد الانسان في نفسه أقوى الشهوات ، ثم يستخـدم ذكاءه ، وشجاعته لارضائها مهما تبلغ من قوة ، مع تظاهره بالصلاح لاسكات العامة والانتفاع بحسن الصيت ولا يتسنى هذا لغير الرجل القوي • لذا ترى العامة تعنف الذين تعجز عن مجاراتهم لتخفي بهذا التعنيف ضعفها وخجلها من هذا الضعـف ، وتعلن ان الاسراف عيب محاولة أن تستبعد مـن ميزته الطبيعة من الرجال ، وتشيد بالعفةلقصورها

عن ارضاء شهواتها الارضاء التـام ، وبالعدالة لجبنها وقعودها عن عظائم الامور · ولو صح ما تقول مـن أن السعـادة في الخلو مـن الحاجـات والرغائب ، لوجب أن ندعو الاحجـار والامـوات سعداء ·

هذه آراء جماعة السوفسطائيين · فلنسألهـم اولا قال أفلاطون : أليس يتفق مع الطبيعـة أن الكثرة أقدر من الفرد ؟ فان كانت الكثرة هي التي فرضت القانون فهي الاحسن من حيث انها الاقدر، وقوانينها حسنة حسب الطبيعة لأنها قوانين الاقدر· وان كانت ترى ان العدالة تقوم في المساواة ، وان الظلم أقبح من الانظلام ، فرأيها مطابق للطبيعة · واذن فلا تعارض بين الطبيعـة والقانون · ثـم يسألهم ثانية فيقول : مـن هو الاحسن الاقـدر الذي يتمدحون به ؟وهل هاتان الصفتان متلازمتان، أم يمكن أن يكون الانسان حسنا ضعيفا معا ، قويا رديئا معا ؟ مهما نقلب المسألة فلا محيص مـن التسليم بأن الاحسن هو الاحكم في عمله ، أيا كان هذا العمل ، وأن الحكيم بالاجمال هو الملتزم جادة القصد والاعتدال ، والحكيم في السياسـة علـى الخصوص هو الذي يحقق في نفسه هذا الاعتدال ،

ويضبط شهواته قبل أن يحكم الآخرين ، والا ساءت حاله وحالهم جميعا ، ولنتصور رجلهم الاقوى الذي يقيمونه مثلا أعلى وقد بلغ الى قمة السلطان فصار طاغية لا يردعه رادع من ضميره ولا من الناس ، ولا تشتهي نفسه شيئا حتى تنال من الذات أصنافا ـ هل هو سعيد ؟ كلا ، بل ان حياته محيفة تعسة • فان جزء النفس الذي تقوم فيه الشهوة لا يعرف القصد ، ولكنه يميل بالطبع الى الاسراف، ولما كان الاشتهاء ألما من الحرمان ، كان انماء الشهوات لأجل ارضائها عبارة عن تعهد آلام في النفس لا تهدأ ، وكانت حياة الشهوة موتا متكررا، مثلها مثل الدن المثقوب تصب فيه فلا يمتلىء ، أو مثل الاجرب لا يفتأ يحس حاجته لحك جلده فيحك بقوة فتزيد حاجته ويقضي حياته في هذا العذاب ، أو مثل مدينة رعاعها هائجة مائجة ، أو مثل مسخ متعدد الرؤوس ، وسبع جائع تمزقه المشهوات وتتغذى بلحمه ودمه وهو لا يملك فكاكا بعد أن ارتمى بين أيديها عبدا وضحية • هذا المخلوق لا يمكن أن يحبه الناس ، ولا ترضى الآلهة عنه ، بل لا تمكن معاشرته،فلا يذوق لذة الصداقة •

فهو شقي للغاية ، والدولة التي يحكمهـا أشقـى الدول ٠

فلا تقل ان السعادة تقوم في الشهوة القوية وفي اللذة بالاطلاق ، وانما قل ان الانسان أسعد حالا في النظام منه في الاسراف ٠ ولو اتبعنا حساب أصحاب اللذة بشرط أن تضبط الحساب ، لوجدنا ان الحياة الفاضلة هي ألذ حياة ٠٠ تمتاز بخفة الانفعال وضعف اللذة والألم ، ولكن اللذة فيها أغلب وأدوم ، في حين أن الالم أغلب وأدوم في حياة الرذيلة ، فالقائلون باللذة لا يقدرون مرمى قولهم، ولا يدرون ما يريدون : يطلبون السعادة وفق الطبيعة ، فتنكل بهم الطبيعة شر تنكيل ، وتؤيد القانون الذي يسخرون منه ، وما ذلك الا لأن القانون مستخرج من الطبيعة مفهومة على حقيقتها ٠ وهي تضطر الناظر في السيرة الانسانية أن يعدل عن اللذة الى المنفعة ، وأن يحكم على الأولى بالثانية ، فيقر ان من اللذات ما هو حسن أي نافع، وما هو رديء أي ضار ، وان من الآلام ما هو حسن نافع ، كتعاطي الدواء وتحمل العلاج ، وما هو رديء ضار ، وان اللذات والآلام الحسنة هي التي تطلب ، واللذات والآلام الرديئة هي التي تجتنب ،

وان النافع ما يجلب الخير ، والضار ما يجلب الشر ، والمنفعة التي توسم بالخير هي التي تكمل الشيء وفق حقيقة هذا الشيء ، والضرر الذي يوسم بالشر هو الذي ينتقص الشيء أو يقضي عليه ، فان كل شيء انما يقوم بالنظام والتناسب ، فاذا اختل النظام فقد الشيء قيمته وفضيلته ، ان الذين نسميهم أخيارا وأشرارا يحسون اللذة والألم على السواء ، فليس الاخيار أخيارا باللذة ، بل بالخير ، وليس الاشرار أشرارا بالألم بل بالشر ٠ وكما ان الكيفية التي تحدث في الجسم عن النظام والتناسب تدعي الصحة والقوة ، فان النظام والتناسب في النفس يسميان القانون والفضيلة ٠

الفضيلة عند أفلاطون :

يرى أفلاطون ان الفضائل ثلاث تدير قوى النفس الثلاث ، الحكمة فضيلة العقل تكمله بالحق ٠ والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء فتترك النفس هادئة والعقل حرا ٠ ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم اغراء اللذة ومخافة الألم ٠ والحكمة أولى الفضائل ومبدؤها ، فلولا

الحكمة لجرت الشهوانية على خليقتها ، وانقادت لها الغضبية • ولو لم تكن العفة والشجاعة شرطين للحكمة تمهدان لها السبيل وتتشرفان بخدمتها ، لما (١) خرجتا من دائرة المنفعة الى دائرة الفضيلة ، اذ ما الهرب من لذة لنيل لذة أعظم ، سوى عفة مصدرها الشره ، وما خوض الخطر لاجتناب خطر آخر ، سوى شجاعة مصدرها الخوف • ليست الفضيلة هذه الحسية النفعية التي تستبدل لذات بلذات وأحزانا بأحزان ومخاوف بمخاوف ، كما تستبدل قطعة من النقد بأخرى ، فان النقد الجيد الوحيد الذي يجب أن يستبدل بسائر الاشياء هو الحكمة ، بها نشتري كل شيء ونحصل على كل الفضائل ،أما الفضيلة الخالية من الحكمة ،والناشئة عن التوفيق بين الشهوات ، فهي فضيلة عبده • فالفضيلة اذن من جنس العقل والنفس ، ولا يسوغ أن نذكرها الا بالاضافة اليهما ، والحياة الفاضلة لا تستمد قيمتها من لذتها أو منفعتها ، بل من هذه الاضافة ، ويستحيل على من ينكر النفس والعقل أن يبلغ الى معنى الفضيلة •

---

(١) فيدون ص ٦٩ •

واذا ما حصلت هذه الفضائل الثلاث للنفس فخضعت الشهوانية للغضبية والغضبية للعقل ، تحقق في النفس النظام والتناسب • ويسمي أفلاطون حالة التناسب هذه بالعدالة ، باعتبار ان العدالة بوجه عام اعطاء كل شيء حقه ، فليست العدالة عنده فضيلة خاصة ، ولكنها حال الصلاح والبر الناشئة عن اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة • أما العدالة الاجتماعية ، فهي تحقيق مثل هذا النظام في علاقات الافراد ، فان الرجل الصالح في نفسه صالح بالضرورة في معاملاته ، والعكس بالعكس • بل ان العدالة تستتبع الاحسان تاما شاملا ، فلا نجدها بأنها الاحسان الى الاصدقاء والاساءة الى الأعداء ، لأن الاساءة اساءة الى النفس أولا • فالذي يقابل الشر يفقد عدالته ، ويزيد الشرير شرا ، فتنتج هذه العدالة المزعومة ضدها من الناحيتين ، وهذا خلف • استمع الى سقراط يتحدى السوفسطائيين ويقلب آيتهم رأسا على عقب حيث يقول : أنا لا أبتغي ارتكاب الظلم ولا تحمله، لكن اذا وجب الاختيار فأنا أختار الثاني • ويضيف : أنا أنكر أن يكون منتهى العار أن أصفع ظلما ، أو أن تقطع أعضائي ، أو أن أسلب مالي ،

وادعى أن العار يلحق المعتدي ، وان الظلم أقبح وأخسر لصاحبه منه لضحيته (١) ٠

ويرى أفلاطون أن السعادة تستتبع العدالة مهما يكن من حال الجسم وشؤون هذه الحياة ، لأن العدالة خير النفس ، والنفس أسمى وأبهى وأبقى من الدنيويات جميعا ٠ قد تنزل بالعادل المصائب ويتهم كذبا ويجلد ويعذب ويوثق بالأغلال وتكوى عيناه ويعلق على الصليب ، وهو سعيد بعدالته ، وأما الطاغية الذي ينكل بالناس ، وأما السياسي الذي يوقع بخصومه ، فكلاهما شقي حقيقي بالرثاء، لأن الظلم أعظم الشرور ، وليست المسألة بيننا وبين السوفسطائيين ان كان الظالم منتصرا دائما غير منتصر ، ولكن ان كان سعيدا أم شقيا ٠ وقد أوردنا لها حلا أول لما خاطبناهم بلغتهم وجادلناهم من وجهتهم ، فبينا أنه تعس معذب في جسمه وشعوره ٠ والآن وقد عرفنا النفس والفضيلة نستطيع أن نسلم لهم جدلا بأنه موفق هانيء في ظلمه ، ونؤكد مع ذلك أنه شقي غاية الشقاء لأنه ظالم ، وان العادل سعيد لأنه عادل ٠ بل نتحداهم

---

(١) غورغياس ص ٥٠٨ ٠

مرة أخرى ونذهب الى أن الظالم أشقى حالا ان لم يكفر عن آثامه • ومعنى التكفير تحمل القصاص العادل ، وكل ما هو عـادل فهو جميـل ، فتحمل القصاص جميل ، وهو خير يستقيم به النظـام ، وتخلص به النفس من شرها الذي هو أعظم الشرور لأنه شر النفس • وكما ان علاج الطبيب مفيد ولو لم يكن مستحبا ، وأن السعادة الكبرى للجسم أن لا يمرض أبدا ، ويليها أن يشفيه الطب اذا مرض، فان أسعد الناس البريء من الشر ، ويليه الذي يشفى من شره • أما الذي يحتفظ بشره فأشقى الناس ، لا يدري ان مصاحبة الجسم المريض لا تعد شيئا مذكورا بالقياس الى مصاحبة النفس المريضة• وكما ان المريض يسعى الى الطبيب ويتحمل الكي والشق ، كذلك يجب على الخاطيء أن يسعى الى القاضي بنفسه فيعترف بخطيئته ولا يكتمهـا في صدره ، ويطلب العقاب ولا يتهرب منه • فـان استحق الجلد قدم جسمه للسوط ، أو استحـق الغرامة أداها ، أو النفي رحل عن وطنه ، أو الموت تجرعه ، فان التكفير أفضل الخيرات بعد البر •

هذه حقائق قائمة على أدلة من حديد وماس ، من يعلمها بأدلتها ومراميها يأت الخير حتما ، من

حيث ان الانسان يطلب الخير بالضرورة ويستحيل عليه أن يؤثر الشر مع علمه بالخير علما صحيحا • أما الذي يعلم ويأتي الشر فعلمه ناقص ، وحقيقته انه ظن عار من الأصول والنتائج ، لا يقوى على اغراء اللذة والمنفعة • فالفضيلة علم ، والفاضل هو الحاصل على العلم بالخير ، يعرف ما يجب أن ينفعل في كل حالة ، لأن نظره شاخص دائما الى الخير المطلق • فالفاضل دليل يجب الاسترشاد بفكره كما يسترشد بالقيثاري لتعلم العزف على القيثارة • أما الرذيلة فجهل بالخير الحقيقي ، واغترار بالخير الزائف •

الجدل الصاعد والأخلاق :

جميع هذه الافكار التي جسدها أفلاطون في محاوراته لتركيز دعائم الاخلاق والفضيلة قصد من خلفها مقارعة الآراء السوفسطائية الجاهلة لكافة القيم والاخلاق الخيرة • الا أنه لم يكتف بما طرحه من آراء ، فنراه يسلك دربا معبدا آخر هو درب الجدل ، فيقول : ان للارادة جدلها ، كما أن للعقل جدله ـ طريقان متوازيان يقطعان نفس المراحل ، ويتقابلان عند نفس الغاية في اللانهاية ••• غاية

تتلاشى دونها الغايات ، وتسقط الاعتراضات ، وتستقر عندها النفس في غبطة ليس بعدها غبطة • فلنمض اذن وراء أفلاطون نلاحظ أن الحياة الحكمية هي الهدف الحقيقي للنفس ، وأن الجهل هو علة الاعراض عنها والامتناع عليها • ذلك بأننا اذا تأملنا النفس وجدنا فيها قوة عظمى تحركها أبدا هي الحب • والحب اشتهاء صادر عن الحرمان ، اذ ما من أحد يشتهي ما هو حاصل له • هو قلق دائم وشوق الى الخير ، أي الى ما شأنه أن يعوض من الحرمان وجودا ، فيملأ فراغ النفس • فالحب مبدؤه الخير وغايته الخير ، هو وجود ناقص ووسط متحرك من الحرمان الى الوجود الذي لا يفنى • هو اشتهاء الحصول على الخير حصولا دائما ، هو جهد الكائن الفاني في سبيل الخلود ، فان اشتهاء الخلود متحد باشتهاء الخير ، وليس يعقل أن يطلب الخير الى أجل (١) •

ويتجه الحب أول ما يتجه الى جمال الاجسام والاشكال • عند هذا الجمال يقف الاكثرون ظانين أنه الغاية ، ولكن النفس الحكيمة تدرك أنه زائف

---

(١) المأدبة ص ٢٩٢ •

زائل ، لا يبرد شوقها ، ولا ينضب معين حبهـا ، فتجاوز هذا الوهم وتدرك ان الجمال المتحقـق في جسم هو أخ للجمال المتحقق في سائر الاجسام ، وان الجمالات الجسمية أشباه بعيدة لجمال واحد بعينه يحويها في وحدته ، هو مثال الجمال المحسوس ٠ فتخلص النفس من التعلق بواحد ، وتمد اعجابها وسحبتها الى الجمال الحسي أينما تألق لعينها ٠ ثم تدرك ان ما تحب في الاجسام انما هي صفاتها ، وان هذه الصفات فائضة عليها من النفس مصدر حياتها ، فترتفع من المعلول الى العلة ، وتنفذ الى النفس مهما كان غلافها دميما لعلمها ان النفس جميلة في ذاتها ، فتتعلق بها ٠ ثم تعلم أن النفوس مشتركة في جمال واحد هو الجمال المعنوي ، فتصعد من جمال النفوس الى جمال الفنون ، فالى جمال العلوم النظرية ، ولا تزال تصعد من علم الى علم حتى تبلغ الى الجمال كله ، فتقف متأملة وتتهيأ بهذا التأمل لمشاهدة الجمال المطلق غير المخلـوق الفاني ، الذي لا يزيد ولا ينقص ولا يتغير بحال ، الجمال بالذات الذي يحب لذاته ٠ من يشاهـده يتعلق به ويخلد فيه ٠ ان ما يعطي قيمة لهـذه الحياة انما هي مشاهدة الجمال السرمدي نقيـا

لا تشوبه شائبة ، بسيطا لا تغطيه أشكال والوان مصيرها الى الفناء ٠

هذه مراحل الحب يقطعها في البحث عن ضالته وشفاء غليله ، فهو وسيط ومساعد يحفز النفس الى الكمال ، ويهيج فيها الذكرى القديمة ، ذكرى المثل والحياة السماوية الأولى ، ذكرى الفردوس المفقود تحن اليه بكل جوارحها ٠ فالمحب الكامل هو الفيلسوف ، يزدري الجمال الزائل الذي يملأ النفس جنونا ، ليتعلق بالجمال الدائم ٠

أفلاطون ومدينته الفاضلة :

عندما نحاول أن نستقصي ما كتبه أفلاطون في كتابه الجمهورية حول السياسة نلاحظ أن السياسة عند أفلاطون تعني العدالة في المدينة ، كما ان الفضيلة العدالة في الفرد ٠ لذلك يرد على السوفسطائيين مبرهنا أن العدالة قائمة على الطبيعة لا على العرف ، وهدفه أن يشيد مدينته على أساس متين من العدالة ٠ ثم ينظر في الاجتماع فيقرر أنه ظاهرة طبيعية ناشئة من تعدد حاجات الفرد وعجزه عن قضائها وحده ٠ تألف الناس أولا

جماعات صغيرة تعاونت على توفير المأكل والمسكن والملبس ، ثم تزايد العدد حتى ألفوا مدينة • فلم تستطع أن تكفي نفسها بنفسها ، فلجأت الى التجارة والملاحة •

هذه المدينة الأولى مدينة الفطرة ، مثال البراءة السعيدة ، ليس لها من حاجات الا الضرورية ، وهي قليلة ترضيها بلا عناء ، يقنع أهلها بالشعير والقمح والخضر والثمار والخمر الخفيفة ، فيعيشون عيشة سليمة ويعمرون ، لا يعرفون الفاقة ولا الحرب • ولكن هذا العصر الذهبي انقضى يوم فطن الناس الى جمال الترف والفن ، فنبتت فيهم حاجات جديدة ، واستحدثوا صناعات لارضائها •وضاقت الارض بمن عليها ، فنشبت الحروب وتألفت الجيوش •

هذه المدينة الثانية هي المدينة المتحضرة وهي عسكرية • فعلى أية صورة نبني مدينتنا لنحقق فيها العدالة ؟ يجب أن نشخص بأبصارنا الى المدينة بالذات • فنجد أن بينها وبين النفس شبها قويا • فان للمدينة ثلاث وظائف : الادارة والدفاع والانتاج تقابل قوى النفس الثلاث : الناطقة

والغضبية والشهوانية · وهذه الوظائف متباينة ، فلا يمكن أن تتركب المدينة من (١) أفراد متساوين متشابهين ، وانما يجب أن تتركب من طبقات متفاوتة ، لكل منها وظيفة وكفاية خاصة لهذه الوظيفة ، وان يؤلف مجموعها وحدة تشبه وحدة النفس في قواها الثلاث · فترتب الطبقات فيما بينها كترتب القوى النفسية والفضائل الخلقية ، والا توزعت الجهود ويذلت اتفاقات وفات الناس الغرض من الاجتماع · هذه الطبقات الثلاث هي الحكام والجند والشعب · والطبقان الأولى والثانية حراس المدينة ، فكيف نحصل على حراس أشد فضلاء ؟·

يجب على الذين يتولون بناء المجتمع المنشود أن يميزوا من بين الاحداث أصحاب الاستعداد الحربي ، فيفضلوهم طائفة مستقلة ويتعهدوهم بالتربية · عليهم أن يرتبوا لهم رياضة بدنية تنشئهم أصحاء أقوياء · وعليهم أن يغذوا نفوسهم بالآداب والفنون · فتكون التربية واحدة للجميع الى حوالي الثامنة عشرة ، وتكون سهلة لذيذة لأن

---

(١) جمهورية افلاطون مقالة ٢ ص ٣٦٩ ·

الاكراه لا يكون الرجال الاحرار ، وتكون فاضلة : تبدأ بالقصص الجدية البريئة الحاثة على الخير ، وتستبعد منها قصص هوميروس وهزيود ومن نحا نحوهم من الشعراء ، فانه مرذولة من حيث المادة ومن حيث الصورة • أما من حيث المادة فقد سممت عقول اليونان وأفسدت ضمائرهم بما تروي عن الآلهة والابطال من أخبار الخصومات وقبيح الافعال، وبما لا تفتأ تردده من أن الرجل العادل يعمل لخير غيره وشقاء نفسه ، وبما تصف من هول المـوت وتفاهة الحياة الأخرى ، مما يوهن العزيمة ويقعد عن الجهاد في سبيل الوطن •

وأما من حيث الصورة فان الفن يقوم بالمحاكاة ويخلق المحاكاة ، والشعر بألفاظه وأوزانه يحاكي كل شيء • القوى الطبيعية والحيوانيـة والبشر والنزعات الرفيقة والشهوات الدنيئة ، فيبعث في النفس مثل ما يصف من العواطف والافعـال • والمحاكاة المتصلة تصير عـادة ، فتلقـين الحراس القصص القديمة يفسد طبيعتهم ، فنحن مع اعجابنا بمحاسن هذا الشعر ننعته بأنه معلم وهم ، ونعمد الى صاحبه فنضع اكليلا على رأسـه ونشيعـه الى حدود المدينة فننفيه منها ونحن نترنم بمديحه ، ولا

نستبقي غير الشاعر عف اللسان سديد الرأي هادىء النسق يحاكي الخير ليس الا ·

وأفلاطون لا يرى الفن شيئا أول له قيمة في ذاته ، ولكنه يضعه في المرتبة الثالثة بعد المثال أو الوجود الحق ، وبعد صورته المحسوسة المتحققة في الطبيعة ، فان الفن يحاكي الوجود الطبيعي ، وهذا الوجود يحاكي المثال ، فالفن صورة الصورة وشبح الشبح · يصنع النجار السرير محاكيا مثال السرير ، ويصور المصور سرير النجار ، فهو ليس حاصلا على العلم الحق الذي موضوعه المثال أو الشيء بالذات ، ولا على الظن الصادق ، وانما هو جاهل مخادع يأخذ على نفسه محاكاة الاشياء الطبيعية فيبرزها مشوهة في غير نسبها الحقيقية من حيث المقدار والشكل · ولكنه لا يخدع الا عن بعد ، ولا يخدع الا الجهلاء · كذلك قل في الشاعر ، فانه لو كان يعلم حقا ما يتظاهر بعلمه ، لكان يعمل بدل أن يقول ، ولكان يقود الجيوش أو يشرع القوانين ، وهوميروس لم يفعل شيئا من ذلك ، ولكان يؤثر أن يحيا حياة مجيدة ، وهوميروس ارتضى لنفسه أن يكون قصاصا للحياة المجيدة وراوية · فالفن بالاجمال أداة ابهام وتخييل ،

والشعر دجل كالتصوير ، اذا نزع عنه سحر اللفظ والتوقيع بدا شاحبا فقيرا ، يستطيب وصف العواطف ، وهي متقلبة متنوعة ، ولا يوجد له موضوعا في العقل الثابت الهادىء ، فيهيج العواطف ويشل العقل ، مثله مثل طاغية يقلد السلطة للاشرار ويضطهد الاخيار • فانه يوحي بالعطف على أفعال وانفعالات رديئة ، ويضعف اشرافنا على الجزء الشهوي من النفس ، فيحرك فينا البكاء تارة ، والضحك طورا ، ويدفعنا ونحن نشهد التمثيل الى استحسان ما ننكره في الحياة الحقيقية والى التصفيق لما نغضب له في الواقع • والتراجيديون لا يرمون لغير احراز اعجاب الجمهور ، والجمهور لا يميل الى الاشخاص الحكماء الرزينين ، بل يطلب اشخاصا شهويين (١) متقبلين، تملأ تقلباتهم وشهواتهم القصة ، فيلهو بها وتميل معها الى كل جانب • وأما الكوميديا فهي رديئة بالذات ، تضحك من اخواننا في الانسانية ، وتنمي حاجة المزاح والسخرية • واذن فعلى الشارع أن يراقب جميع مظاهر الفن ، وجميع الفنانين من

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية : كرم ص ١٠٢ •

شعراء ومغنين وممثلين ومصورين وغيرهم ،فيخلق بيئة كلها جمال سليم رزين ، وينشيء مواطنين كاملين يتوجهون الى الفضائل عفوا ، ويصون نفوسهم من كل خدش ، اذ ليست الغاية من الفن توفير اللذة ، بل التهذيب والتطهير .

ولا شك أن وضع أفلاطون الفن في المرتبة الثالثة بعد المثال وشبحه المحسوس ، تحامل وتعسف ، وكان المعقول أن يساوي بين الفنانين والصناع ، فيعترف للأولين بأنهم يحاكون المثل مباشرة كما يحاكيها الآخرون . ولكنها حماسة النضال دفعته الى المغالاة ، والغيرة الحارة على الخير نبهته الى مخاطر الفن ، فراح يمتهنه ويذله وهو الفنان العظيم . وعلى أي حال لم يكن في وسع أفلاطون أن يتابع القائلين بالفن لأجل الفن ، بعد أن ميز بين الخير والشر ، ونصب الطهارة مثلا أعلى للانسان . وهو يعلن أن المسألة مسألة العدالة ، وان الواجب ايثار العدالة على كل شيء . وانما شدد التفكير على الشعر الهوميري لأن هذا الشعر كان قوة هائلة ، يأخذ عنه اليونان جيلا بعد جيل حكمة الحياة في الاخلاق والدين والسياسة والحرب والصناعات ، فكان خطره عظيما وسحره فعالا .

وكما ان أفلاطون حارب السوفسطائيين وعارض بيانهم بالفلسفة ، فقد أراد أن يخضع لها الفن أيضا ويقيده بحدودها (١) ٠

أفلاطون والحكومة المثالية :

يرى أفلاطون في كتابه « الجمهورية » ضرورة وجود الحكومة الفاضلة المثالية على رأس هذه الجمهورية وتابع وصف الحراس وكيفية اعدادهم ليكونوا عناصر فعالة منتجة في هذه الدولة التي ينهد اليها أفلاطون قال : « وعند الثامنة عشر ينقطع الحراس عن الدرس ، ويزاولون الرياضيات البدنية والتمرينات العسكرية ٠ فاذا ما بلغوا العشرين فصل الاجدرون منهم طائفة على حدة يعكفون على دراسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ، وهي العلوم التي تستغني عن التجربة وتستخدم البرهان ، فتنبه الروح الفلسفي ، وواضح أنهم لا يستطيعون ، مع ما لهم من المقام الرفيع وما عليهم من التكاليف العديدة ، أن يسعوا لتحصيل معاشهم ، فيجب أن نوفره لهم ونحن بهذا

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية : كرم ص ١٠٣ ٠

التوفير نهيء لهم الفراغ اللازم لاستكمال تهذيبهم، ونبعد عنهم كل ما من شأنه أن يغريهم بأن يحولوا وظيفتهم الى تسلط واستمتاع ، فينقلوا أسيادا وطغاة ونحن نريدهم (١) حراسا ليس غير • لذلك يعيشون معا ويأكلون معا ، ويقدم لهم الشعب مؤونتهم ، فلا يحتاجون لذهب ولا فضة ، فيحظر عليهم اقتناء أي شيء منهما ، سواء أكان نقودا أو آنية أو حليا ، ويحظر عليهم التصرف بشيء من ذلك ، بل رؤيته ان أمكن ، اذ أن الحكم خدمة لا استغلال ، والحرس لأجل المدينة وليست المدينة لأجل الحراس • يحمد هؤلاء للشعب اطعامه اياهم، ويحمد الشعب لهم حراستهم اياه ، فينتفي الحسد والنزاع •

يلاحظ ان ما يتهم به أفلاطون من شيوعية انما هو قاصر على طبقة الحراس ، ولهم عنده وظيفتان، الادارة والدفاع ، أما الانتاج ، الذي يكمل وظائف المدينة الثلاث ، فمتروك للشعب من زراع وصناع وتجار ، يتملكون مصادره وآته تملكا شخصيا ويستغلونها ويتاجرون بنتاجها كما يرون ، على

---

(١) جمهورية افلاطون المقالة الثالثة ص ٤١٥ •

شرط أن يؤدوا لمن فوقهم الضريبة الواجبة ، وان تحصر الملكيـــة في حدود معقولـــة ، بحيث لا يثري الشعب فيتهاون في العمل أو يتركه ، ولا تســـوء حاله فيعوزه المال للصناعة والتجارة ، ولا يثري البعض دون البعض فينقسم طائفتين متنابذتين : الاغنياء والفقراء ، وهذا الانقسام آفة الدول غير المنظمة عقليا وليس تحريم الملك علـــى الحراس تشريفا اقتصاديا ولكنه تدبير سياسي يرمـــي الى الفصل بين السلطة التنفيذية والمال ، لكيلا تفسد به ، ويقوم الصراع في نفوس الحراس بين الواجب العام والمنفعة الذاتية ٠

والحراس ذكور وانـــاث على السواء ، يسري عيلهم جميعا نفس النظام ٠ نعم ان المرأة أضعف من الرجل ، ونحن لا نغضي عن هذا التفاوت ، الا أنها مهيأة النفس والوظائف ، فقد تصلح للطب أو للموسيقى أو للرياضة أو للحرب أو للفلسفة كما تصلح للاعمال المنزلية ٠ فليس ما يمنع من تكليف النساء الحراسة اذا ساوين الرجال في الكفاية لها ، فان الاصل في الوظيفة انها لخير المجموع ، وانها تقلد للكفء دون أي اعتبـــار آخر ٠ واذن فنحن نكلف المرأة الاستعداد كل أعمال الحراس ،

تقوم بها ملتحفة فضيلتها ، وندع الحمقى يضحكون والغاية من أخذ النساء بهذه التربية أن نوفر للدولة نساء ممتازات الى جانب الرجال الممتازين ينجب منهم نسل ممتاز ، فمصلحة الدولة هي التي تقتضي ذلك ، وتتطلب منا التغاضي عن العرف ، كما أننا انتزعنا من نفوس الحراس شهوات الحياة المادية وشواغلها ، فاننا ننتزع منها أيضا عواطف الأسرة وشواغلها ، فيحظر على الحراس أن تكون لهم أسرة ، ويكونون جميعا للجميع ، لكن لا اتفاقا ، بل يقيم الحكام كل سنة في أحسن الاوقات وأسعد الطوالع حفلات دينية يجتمعون فيها الحراس من الجنسين ، ويوهمونهم أن اقترانهم سيكون بالقرعة، تفاديا من التحاسد والتخاصم ، والحكام يقصدون في الحقيقة أن يعقدوا لكل كفء على كفئه ، فيعقدون زواجا رسميا ولكنه مؤقت ، الغرض منه الانسال على قدر حاجة الدولة ، وتحسين النسل بمقتضى القواعد المرعية في الحيوان • ويوضع الاطفال في مكان مشترك يعنى بهم فيه أناس خصيصون وتأتي الأمهات يرضعنهم دون أن يعرفنهم فلا يوجد بين الحراس قرابة معروفة ، ولكنهم جميعا أسرة واحدة ، يعتبر بعضهم بعضا قريبا ،

ويعامل بعضهم بعضا على هذا الاعتبار ، فيتسع مجال التعاطف والتحاب • هذا والأسرة مباحة للشعب ، مع شيء من المراقبة لمنع الزيادة البالغة في عدد السكان ، فان ولد للشعب أو للحراس أطفال في غير الزمن المحدد أعدموا ، كما يعدم الطفل ناقص التركيب ، الوالد فاسد الاخلاق والضعيف عديم النفع ، والمريض الذي لا يرجى له شفاء ، لأن الغاية هي أن يبقى عدد السكان في المستوى الذي يكفل سعادة المدينة ، وأن يحتفظ بقيمتهم البدنية والخلقية (١) •

واذا ما بلغ الحراس الثلاثين يميز من بينهم أهل الكفاية الفلسفية رجالا ونساء الذين يتوفر فيهم محبة الحق وشرف النفس وضعف الشهوة وسهولة الحفظ • واجتماع هذه الصفات نادر ، وتأليفها بالقدر اللازم عسير ، فالحراس الفلاسفة أقلية • يقضون خمس سنين في دراسة الفلسفة والمران على المناهج العلمية ، ليجيدوا فيهم الحقيقة والدفاع عنها • ثم يزج بهم في الحياة العامة ، ويعهد اليهم بالوظائف الحربية والادارية الى سن

(١) جمهورية افلاطون المقالة الخامسة •

الخمسين • فالذين يمتازون في العمـــل كما قـــد امتازوا في النظر ، يرقون الى مرتبـــة الحكـــام ، ويدعون الحراس الكاملين ، فهم خلاصة الخلاصة ، زال من نفوسهم في هذه السن الطمع ، وما زال النشاط • فيعيشون فلاسفة متوفرين على تأمل المعقولات الصرفة والخير المطلـــق ، ويتناوبـــون الحكم ، يزاوله بدوره جماعة جماعة على حد سواء ما داموا محافظين على المباديء •

وانما نريد الحكام فلاسفة ، لأن التربية الأولى خلقت في الحراس ظنونا صادقة وعواطف طيبة ، مستعينة بالطبع والتطبع لا بالعلم ، فيمكـــن أن تضعف الظنون بالنسيـــان ، وأن تلين العواطـــف للخوف أو للاغراء ، فلا بد أن يكون الحكام فلاسفة يعلمون الخير ويريدونه ارادة صادقة •والفيلسوف هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يتصور القوانين العادلة تصورا علميا ، وأن يلقنها للآخرين بأصولها وبراهينها ،فتدوم في المدينة، بينما تصور السياسيين العمليين ان أصاب فهو ظني لا ينقل للغير ، فيقبر معهم • وعلى ذلك فالفلسفة هي الوسيلة الوحيدة لوضع سياسة محكمة مستديمة ، ويجـــب تحضير أذهان الجمهور لهذا الانقلاب ، والجمهور ميـــال

لاعتقاد ان الفلسفة عديمة النفع للمدينة ، ولكن متى استخدمت فلم تفلح ؟ هم السوفسطائيون الذين وضعوا الفلسفة موضع سخرية بمغالطتهم ومخاتلتهم ، وساعد على الاستخفاف بها ان كثيرا ما يتصدى لها الجهلاء الأدعياء ، وان الشبان (١) يلجونها قبل الأوان ويتركونها قبل الأوان ، كأنها فترة انتقال بين زمن التحصيل والحياة العملية ، ويعتبرونها حلية يحسن أن يتحلوا بها ، ولكن على أن تكون حفيفة سريعة ، وقد قلنا أنه لا ينبغي الاشتغال بها قبل الثلاثين ، وأنه يجب التهيؤ لها بالفضيلة التي تخلص النفس (٢) من الشهوات وتعدها لقبول الحق ، فان الحق لا ينكشف للنفس تطلبه وهي منقسمة على نفسها ، بل للنفس المخلصة تتوجه اليه بكليتها • فلنعمل على علاج هذه الحال لعل الشعب يدرك يوما ان الفلاسفة أصلح الناس لاقامة شيء من النظام الالهي على هذه الارض ، أو لعله يولد للملوك أبناء ذوو استعداد للفلسفة يحتفظون بهذا الاستعداد حتى اذا ما آل اليهم السلطان أسلموه للفلاسفة ، فيتم انشاء المدينة المثلى على أسرع

---

(١) نفس المصدر ونفس المقالة •

(٢) جمهورية افلاطون المقالة الرابعة والخامسة •

الوجوه وأيسرها . وتدوم المدينة المثلى ما دام الحكام معنيين بالأطفال ، مستبقين طبقة الحراس في المستوى اللائق ، ينزلون الى الطبقة الثالثة من يلحظون فيه انحطاطا من أولاد الحراس ، ويرقون الى الحراسة من يتوسمون فيه الصلاحية لها من أولاد الشعب ، فتظل المدينة واحدة متحدة حكيمة من حيث ان أولي الأمر فيها حكماء ، شجاعة من حيث أن التربية الفاضلة قد طبعت العدالة في قلوب الحراس فعرفوا ما يطلب وما يجتنب ، عفيفة تكبح شهواتها وتنظم ملذاتها وتحارب الترف والفقر على السواء .

هذا نموذج يحتذى ولا يحقق على وجه التمام لأن كمال المثال ممتنع على كل ما هو محسوس . وما يحقق من هذا النموذج لا يدوم لأن كل ما يتكون فهو عرضة للفساد لا محالة . واذا فسدت مدينتنا تدهورت من حكومة الى أخرى أردأ منها ، حتى تبلغ أسوأ الحكومات وكأنها مدفوعة بقوة قاهرة وقانون ضروري . والحكومات خمس : فقد سبق القول ان الحكومة الفاضلة اما أن يتولاها فرد فتسمى موناركية أو ملكية . واما أن يتولاها جماعة فتسمى أرستقراطية ، ولا فرق بين

الحكومتين ، وانما هما واحد في الحقيقة · ويحدث أن يخطيء الرئيس أو الرؤساء في اختيار الوقت الملائم للتزويج ، فينجب للدولة أولاد حين لا ينبغي أو أن يخلطوا بين الاكفاء وغير الاكفاء ، فينجب للدولة أولاد بعيدون عن مشابهة آبائهم حكمة واعتدالا · أو أن يتهاونوا في تربية الاحداث · فيضطرب النظام وتنشب الفتن ، ولكن الحكام والجند يتغلبون آخر الامر ، لأنهم لا يزالون ممتازين ، وما تزال القوة في أيديهم · غير أنهم لا يعيدون النظام الى نصابه وقد انحطت قيمتهم بفساد الوراثة أو التربية ، بل يستغلون غلبتهم لمنفعتهم الذاتية ، فيقتسمون الاراضي والدور ، ويستخدمون الشعب في شؤونهم الزراعية والصناعية ، بعد أن كان الشعب حرا يوفر لهم أسباب المعاش ، ويهملون الدرس والنظر مؤثرين المال والسلطان · وهذه هي الطيموقراطية أو حكومة الطماعين · ويصبح للمال أهمية عظمى ، ويثري البعض دون البعض ، ويقتضي نصاب مالي لولاية الوظائف العامة ، فتتفكك وحدة الجماعة وتنقسم المدينة الى اثنتين : الاغنياء والفقراء ، وتسود الشهوات الدنيئة ، ويكثر اللصوص · وهذه

هي الأوليغاركية أو حكومة الاغنياء • ويـزداد الاغنياء طلبا للثروة ، فيقرضون الشباب الموسرين مالا بالربا ينفقه هؤلاء في الملذات فيصيبهم الفقر وتبقى لهم نعرتهم ، فيبدوا لهم أن يعارضوا الثروة بالقوة ، فيثيروا الشعب ، فيفوز الفقراء الاقوياء على الاغنياء المترفين ، وهذه هي الديمقراطية أو حكومة الكثرة ، وشعار الحرية والمساواة المطلقة ، دون اعتبار لقيم الرجـال • ويبرز بـين دعـاة الديمقراطية وحماة الشعب أشدهم عنفا وأكثرهم دهاء ، فينفي الاغنياء أو يعدمهم ، ويلغي الديون، ويقسم الاراضي ، ويؤلف لنفسه حامية يتقي بها شر المؤامرات ، فيغتبط به الشعب ويستأثر هو (١) بالسلطة • ولكي يمكن لنفسه ويشغل الشعب عنه ويديم الحاجة اليه يشهر الحرب على جيرانه ، بعد ان كان قد سالمهم ليفرغ الى تحقيـق أمنيتـه في الداخل ، ويقطع رأس كـل منافس أو ناقـد ، ويقصي عنه كل رجل فاضل ، ويقرب اليه جماعة من المرتزقة والعتقاء ، ويجزل العطاء للشعـراء الذين نفيناهم من مدينتنا فيكيلون له المديح كيلا •

---

(١) جمهورية افلاطون المقالة الخامسة والسادسة •

وينهب الهياكل ، ويعتصر الشعب ليطعم حراسه وأعوانه • فيدرك الشعب أنه انتقل من الحرية الى الطغيان ، وهذه هي الحكومة الاخيرة • والحكومات الاربع الفاسدة مراحل تمثل استفحال الشر ، وافتئات الطبقات السفلى في المجتمع ، والقوى السفلى في النفس ، على الطبقات والقوى العليا • فالطيموقراطي مولع بالمجد والسلطان ، هو الشجاعة خرجت عن طور العقل ، والأوليفركي شره للمال ، خلو من كل عاطفة شريفة ، والديمقراطي متقلب مع الاهواء ، ليس لحياته قاعدة ، وليس فيها اكراه ، يتوهم خيره في الحرية المسرفة ، فيقتله هذا الاسراف • والطاغية متهتك جلاد سارق مجرم ، خائف أبدا ، لا يعاشر غير الاشرار ، ويعاشرونه ليفيدوا منه (١) • الا أن العدالة وحدها تكفل السعادة للفرد وللجماعة ، وأقل حيدة عنها تؤدي بهما جميعا •

من خلال هذا الموجز من آراء أفلاطون في مقالاته السياسية في جمهوريته يتوضح لنا أن أفلاطون يضع الأمور في مجال البحث والمناقشة ثم يستخلص

---

(١) جمهورية افلاطون المقالة الثامنة •

بنفسه نتائجها دون الاعتماد على التجربة ، كأن أبناء البشر أشكال مجردة ، وكأن طبائع الاجتماع تركض خلف المشرع كما تطيع الصنعة الصانع ، فيتصرف بها حسب الشكل الذي يريد أن يصنعه منها • ثم أراد أفلاطون أن يجعل مدينته صغيرة لا تزيد ولا تنقص ، فيسهل عليه تحقيق العدالة فيها على النحو الذي تخيله • غير أنه أوجد القيود الصلبة القاسية التي لا تنسجم مع متطلبات الجنس البشري ، كما بالغ في تقدير القوة البدنيـة وفي تمثيل الانسان بالحيوان • وكأنه تناس أفكاره في النفس الناطقة وشرفها وجمالها • ومن أفسـد الآراء وأتفهها ما ذهب اليه حول المرأة الجندية ، ثم الزواج المؤقت وفق مواسم وبمعرفة الحكومة ، كأنه لم يختبر المرأة وأنها أقل قوة من الرجـل ولا تصلح للجندية والحرب ، فلو تلفت الى أفكـاره النفسانية الموزعـة في مصنفاتـه ، لكـان احترم النفس في كل بدن ولم يزهقها جزافا ، ولكان منهم الزواج الانساني على أنه اتحاد النفس بالنفس ، لا يخضع لارادة الدولة تعقده وتحله حسب مزاجها، ولكان عرف أن روابط الأسرة أهم عامل يساعد على تهذيب الطبع ، وصقل النفس ، وترقيـق

الشعور ، وتمدين البشرية ، فاذا انفصمت هذه القيم الأسروية ، انعدمت الألفة والمحبة ، كون هذه المناقب تترعرع وتنمو بقوة الى جانب الروابط المحسوسة بين أفراد الأسرة ·

ومما لا شك فيه ان أفلاطون لم يكن موفقا أيضا في مسألتي الحرب والرق ، حيث نلاحظ أنه يكيل بكيلين ، الواحد لليونان والآخر للأعاجم · ينصح للمدن اليونانية أن تتعهد فيما بينها العلائق الودية، بل أن تتحالف وتؤلف أسرة واحدة ، فان تحاربت فلا تدمر ولا تخرق ولا يسحق الغالب جميع أهل المدينة المغلوبة ، كأنهم أعداء ، بل يضرب الاقلية التي أثارت الخصام ، ويعامل الباقي معاملة الأصدقاء ، ويقصر التدمير والتحريق والسحق على محاربة الأعاجم · ثم يصرح بأن اليونان لا يسترق بعضهم بعضا ، وانما يسترقون الاعاجم ، لأن الرجل العدل لا يسترق قريبه وصديقه ، بل يسترق عدوه · لذلك يمكننا أن نعتبر عدالة أفلاطون في جمهوريته مبتورة ومنقوصة كونه أوقفها على اليونان دون سائر البشر ·

المدينة الانسانية عند افلاطون :

أوجد أفلاطون في جمهوريته موجات ثلاث هي : تجنيد المرأة ، وشيوعية النساء والاولاد ، وحكومة الفلاسفة أو الحكماء ، واعتقد أنه من السهولة اجتياز هذه الموجات وبلوغ الشاطيء الأمين • دون أن يدور بخلده أن مدينته الخيالية التي يديرها وينظمها ويحكمها الفلاسفة صعبة التحقيق ان لم نقل مستحيلة التحقيق لعدم توفر الفيلسوف المثالي الكامل كما وصفه ، وعدد مناقبه المثالية ، لاعتقاده بأن الفيلسوف هو الحاكم الاكمل والملك الحق ، يعود لحكمته في كل ظرف ويحكم بما توحي اليه ، فهو يفضل القانون الموضوع ، لأن الاحوال الانسانية دائمة التغيير ، والقانون متماسك لا يلين لجميع المناسبات ، فالفيلسوف بمفهومه هو القانون الحي ، وحكمه هو الحكم العدل • أما سائر الحكومات فهي ليست سوى عصابات ومجرمين وقطاع طرق •

وهذا الحكيم الفيلسوف الأمثل ليس سوى خرافة وخيال وهمي ، فالناس لا يصدقون ان انسانا مثلهم يستطيع أن يحمل المسؤولية المطلقة

دون أن تنتابه نشوة القوة والمنفوان فيفقد كل عقل وكل صفة انسانية • ويا حبذا لو عدل أفلاطون عن أحلامه ، وقنع بحكومة أدنى وأقرب الى حال الانسان ، هي حكومة قائمة على دستور • فمثل هذه الحكومة الديمقراطية أقل صلاحية من الأرستقراطية ، وهذه أقل صلاحية من الملكية ، لأن الفرد أقدر على تطبيق الدستور من الكثرة ، والكثرة أقدر من الكافة • أما الحكومة التي لا يقيدها دستور ، فان حالتها تسوء حتما اذ يصبح حكم الفرد فيها طغيان وتعسف وظلم واستبداد ، وحكم الكثرة أوليغركية ، وأقل منهما ضرر الديمقراطية لأن تداول السلطة فيها يؤدي الى تعارض النزعات الضارة وتناسخها •

ولم يغفل أفلاطون ضرورة وجود دستور وقانون للدولة من أجل تحقيق المثل الأعلى للمدينة كما رسمته « الجمهورية » فوضع كتابه «القوانين» حيث يتفق ما ورد فيه مع طاقة الانسان ومتطلبات الحياة • وهذا الكتاب القيم ينقسم بالاجمال الى ثلاثة أقسام : المقالات ١ ـ ٤ • مقدمة عامة في أن التشريع يجب أن يقوم على الفضيلة والعدالة • والمقالات ٥ ـ ٨ في نظام الدولة السياسي وقوانينها •

والمقالات ٩ ـ ١٢ في الجزاءات من ثواب وعقاب • ففي المقالة الأولى ينعي أفلاطون على المشرعين والسياسيين رأيهم ان الدولة حربية قبل كل شيء • وأن النصر المبين قهر العدو الخارجي ، ويذهب الى أنه التغلب على العناصر الرديئة في النفس وفي المدينة ، وتعهدها حتى تنصلح • فخير الحالات السلم لا الحرب ، وهو الغاية التي يجب على المشرع أن يتوخاها في وضع دستوره • والشجاعة الحربية أدنى نوعي الشجاعة ، والنوع الأرفع والأشق مغالبة اللذة وقمع الشهوة ، فالشجاعة الحربية في المحل الرابع بعد الحكمة والعفة والشجاعة الادبية• ونأخذ من المقالة الثالثة ان خير حكومة هي الارستقراطية المقيدة بهيئات نيابية تكفل التوازن بين السلطات المختلفة • وهي وسط بين الطغيان والديمقراطية • الطغيان يسرف في حب السلطة ، والديمقراطية تغلو في حب الحرية ، فكلاهما رديء في ذاته ، ولكن المزج بينهما بالقدر الملائم ينتج النظام الامثل في هذه الحياة الدنيا •

ويغض الطرف أفلاطون عن ذكر الطبقات الثلاث المقابلة للقوى النفسية ، ويقدم قسمة أخرى ثلاثية كذلك ، فيضع المواطنين وعبيدهم في جهة ،والصناع

والغرباء يحترفون التجارة في جهة أخرى ، وجيشا أهليا في جهة ثالثة • ويعدل عن الشيوعية ، ولو انه ما يزال يرى فيها دواء الأثرة ، الا أنه أيقن أن البشر يولدون وينشأون كما نرى اليوم ، لا قبل لهم بها ، وانها انما تصلح لموجودات أسمى من البشر • فهو يقول بالملكية ، ولكنه يحث المالك على أن يعتبر ملكه خاصا بالمدينة كما هو خاص به • وهو يقول بالأسرة ويشيد بكرامة الزواج ، ولكنه يبقى على رأيه في تحديد النسل ، لأنه يستبقي مدينته صغيرة ، ويحدد عدد الأسر بخمسة آلاف وأربعين ، لأن هذا العدد ينقسم بالتمام على الاعداد الاثني عشر الأولى ما خلا أحد عشر ، ويختص كل أسرة بحصة من الارض لا تباع ولا تجزأ ، بل يورثها الأب لمن يختار من أبنائه الذكور• ويعتبر في تقدير الحصة نوع التربة بحيث لا يغبن أحد • والحصة قسمان : الواحد قريب من المدينة والآخر بعيد ، ويغلب أن يكون القصد حمل المواطنين على محبة المدينة كلها والدفاع عن القلب والاطراف على السواء • وتكتفي الأسرة بغلاتها، فلا تقتني ذهبا ولا فضة • وتحظر الحكومة تداول النقد الا بمقدار ما يلزم لشراء الضروريات وصرف

أجور العمال ، فلا تزيد الثروة ، وهذا خير للدولة، لأن فلاحها يقوم بالفضيلة وحدها أما تفاوت الأسر في الثروة فسبب للحسد والشقاق (١) ٠

والسلطات بنظر أفلاطون سبع : ١ ـ حراس الدستور ، وعددهم ٣٧ ، يحافظون عليه ويحولون دون تعديله ٠ ٢ ـ القواد ، وعددهم ثلاثة يعينون الضباط لمختلف فرق الجيش ٠ ٣ ـ مجلس الشيوخ، وأعضاؤه ٣٦ يحكمون بالاتفاق مع حراس الدستور ، فيتداولون السلطة ، كل ثلاثين منهم شهرا ، وفي باقي السنة يعنون بشؤونهم الخاصة ٠ ٤ ـ الكهنة والكاهنات في عدد يكفي لاقامة الطقوس والعناية بالهياكل ٠ ٥ ـ الشرطة ٠ ٦ ـ وزير للتربيـة ينتخبه الشيوخ لخمس سنين ٠ ٧ ـ المحاكم وهي ثلاث : واحدة لفض الخلافات الشخصية ، وتؤلف من جيران المتخاصمـين ، وأخرى تستأنف اليهـا الخصومات التي تعجز المحكمة الأولى عن فضها ، والثالثة للحكم في الجنح والجنايات ٠ وأفلاطـون ينهد الى أن تكون التربية فاضلة بالطبع ، ولكنه يلطف من صرامته بازاء التراجيديا والكوميديا ،

---

(١) المقالة الخامسة ٠

فيسمح بهما على شرط أن تعرض القصص على الرقابة ، وألا يتعاطى مهنة التمثيل المرذولة سوى العبيد والاجانب • وهو يعلن هنا أن الرق ضرورة يقبلها على كره ، وان السبب في انحطاط الرقيق ليس الطبيعة بل سوء المعاملة •

ويتابع أفلاطون الاشارة الى القوانين وتوضيح الجزاءات ، وسرد الايضاحات بعد أن يعقب عليها بالارشادات الخلقية والمناقبية ، لأن القانون المبني على هذه الأسس هو من صنع العقل وخلاصة العلم، ينطلق من العقل فيولد العلم ، باعتبار حقيقة الشارع انه هاد ومرب يقنع قبل أن يأمر ويشرع • ويعود أفلاطون الى جذور القوانين والمبدأ الذي تستمد منه سرطانها ، فيرى أن الله سبحانه وتعالى لا يحكمنا مباشرة ، بل يكون حكمه وسلطانه عن طريق العقل الذي وهبنا اياه ، فالقوانين التي يقررها العقل تماثل قوانين القدرة الربانية ، وتهدف الى الخير العام ، فالخضوع لها واجب ، ولكنه يجود في التقنين والتنظيم ، ويتدخل في أدق الأمور ، فيؤكد أن عقليته العرفانية الرياضية لم تفارقه ، وانه ما يزال يتطلع الى مدينته الأولى ، ويرى ان الامور الاجتماعية والاقتصادية من

البساطة بحيث يمكن اخضاعهـا للقانون • وكـل الفرق هو أنه ينهد أن يستخرج من عقل الملـك الحكيم الفيلسوف الحكمـة السياسية كلها دفعـة واحدة ، ليحلها محله ، ناسيا ما قرره من أن الاحوال الانسانية دائمة التبدل ، وان القانون أشد من أن يتوافق وينسجم مع كل حال • وهو يرنو الى اقامة حكم العقل والعدل ، واستبقاء وحدة الأمة بتلطيف الاثرة الشخصية الى الحد الادنى وبالحيلولة دون البدع ،فيضع مجموعة واسعة من الأوامر والنواهي تخنق كل استقلال في الفكر ، وتعري الفرد مـن نزعاته الطبيعية لتتركه آلة صماء وعبدا للدولة • وهو يرسم بنهاية المطاف صورة من الحكم المطلق هي أعقد صورة وأعجزها عن تحقيق الغرض من الحكومة • غير أنه ترك لنا عددا كبيرا من الآراء الجزئية هي ربح صاف للاجتماع والسياسة •

أفلاطون ومحاورة مينون :

في محاورة مينون عمد أفلاطون أن ينطق بلسان سقراط ، ليؤكد ان المعرفة ليست سوى تذكـر ، لذلك جعل حواره يدور بين سقراط ، ومينون ، وأحد عبيد مينون فقال :

مينون : ما الذي يجعلك ، يا سقراط ، تقول اننا لا نتعلم شيئا ، بل ما نسميه تعلم هو في الواقع تذكر ؟ أتستطيع أن تبرهن على ذلك ؟

سقراط : لقد قلت لك ، يا مينون ، أنك ماكر • فأنت تسألني الآن أيضا اذا كنت أستطيع أن أعلمك شيئا ، أنا الذي أقول انه لا يوجد تعليم بل تذكر • أتريد أن تبين لي اني أناقض نفسي ؟

مينون : حاشى ، يا سقراط ، اني لا أطلب منك ذلك ، وليس لي هذه النية نحوك ، بل اني اعتدت ذلك السؤال • فاذا كان في استطاعتك أن تبرهن لي ما تقول ، فافعل •

سقراط : ان ذلك ليس بالأمر السهل ، ولكن سأجتهد • احضر لي أحد هؤلاء العبيد العديدين الذين بصحبتك ، أي واحد كان ، لأثبت لك ذلك بتجربة أقوم بها عليه •

مينون : فليكن • يدعو أحد هؤلاء العبيد : اقترب من هنا •

سقراط : هل هو يوناني،وهل يتكلم اليونانية؟

مينون : نعم • انه ولد عندي •

سقراط : والآن انتبه حتى تتأكد اذا كان سيتذكر أم سيتعلم ٠

مينون : سانتبه ٠

سقراط : قل لي ، أيها الصبي ، أتعلم ان الشكل المربع هو شكل مثل هذا ؟ يرسم على الارض شكلا مربعا ٠

العبد : نعم ٠

سقراط : فاذن في الشكل المربع جميع الخطوط ، وعددها أربعة ، متساوية ؟

العبد : بدون شك ٠

سقراط : وهذه الخطوط التي تمر بوسط المربع ، هل هي أيضا متساوية (يقطع المربع بخطين متقاطعين بحيث يوصلان الزاويتين المتقابلتين) ٠

العبد : نعم ٠

سقراط : ألا توجد مساحات شبيهة بهذا الشكل ولكن أكبر منه أو أصغر منه ؟

العبد : طبعا توجد ٠

سقراط : اذا كان طول هذا الضلع قدمين وذاك الضلع قدمين ، فكم تكون مساحة كل الشكل ؟ أو بمعنى آخر اذا كان طول هذا الجانب قدمين ،وطول ذلك الجانب قدمين ، ألا تكون المساحة مرتين قدمين؟

العبد : ان الواقع يكون ذلك •

سقراط : فالمساحة تكون قدمين مكررين مرتين•

العبد : نعم •

سقراط : وكم يساوي قدمان مكرران مرتين ؟ اعمل الحسبة وقل لي •

العبد : أربعة ، يا سقراط •

سقراط : ألا توجد مسافة أخرى ، ضعف هذه ، ولكنها شبيهة بها ، وجميع خطوطهامتساوية، مثل ما هو حال هذا الشكل ؟

العبد : نعم يوجد •

سقراط : فكم تكون مساحتها بالأقدام ؟

العبد : ثمانية •

سقراط : فاذن ، حاول أن تقول لي ماذا يكون

طول كل خط من خطوط هذا المربع الجديد ، مع العلم ان هذا المربع الذي أمامنا طول الخط فيه قدمان ، فكم يكون طول خط المربع الذي هو ضعف هذا المربع ؟

العبد : من الواضح ، يا سقراط ، ان الطول سيكون ضعف هذا الطول ·

سقراط : أتلاحظ ، يا مينون ، اني لم أعلمه شيئا ، بل أكتفي بتوجيه السؤال اليه · والآن وهو يتصور أنه يعرف الخط الذي منه تتكون مساحة ثمانية أقدام · ألا تظن أنه متيقن من ذلك ؟

مينون : بلى ·

سقراط : وهل هو يعرف ذلك ؟

مينون : طبعا ، لا ·

سقراط : أهو يعتقد ان هذه المساحة تتكون من خط ضعف (الخط الاول يتكون منه الشكل المربع الاول الذي رسمه سقراط في باديء الامر) ؟

مينون : نعم ·

سقراط : لاحظ الآن كيف أنه سيتذكر تدريجيا ، كما يجب أن نتذكر • (يوجه كلامه الى العبد) : أجبني ، هل تقول ان المساحة المضاعفة تتكون من خط مضاعف ؟ أنا لا أعني بذلك مساحة طويلة من جهة وقصيرة من جهة أخرى ، بل يجب أن تكون متساوية في جميع الجهات ، مثل ما هو الحال في الشكل الاول (هذا الذي أمامنا) فقط ، الشكل الجديد ضعف هذا الشكل ، أعني مساحته ثمانية أقدام • ولكن ، هل تعتقد أننا نكونه بمضاعفتنا للخط ؟

العبد : أعتقد ذلك •

سقراط : هذا الخط سيكون ضعف ذلك الخط اذا أضفنا اليه خطا آخر ، له ذات الطول ، مبتدئين من هنا (من الطرف) •

العبد : بدون شك •

سقراط : فاذا ، أنت ترى ان هذا الخط هو الذي يكون لنا مساحة الثمانية أقدام ، أعني اذا مددنا أربعة خطوط متساوية •

العبد : نعم •

سقراط : فلنمدد أربعة خطوط متساوية ، على شكل هذه الخطوط التي أماسنا ، هل هذا ما تسميه : مساحة ثمانية أقدام ؟

العبد : بكل تأكيد ٠

سقراط : ألا يوجد في هذا الشكل الجديد الاربعة خطوط هذه (يرسم أربعة خطوط متساوية) ، وكل خط منها طوله أربعة أقدام ؟

العبد : بلى ٠

سقراط : فماذا تكون مساحته اذا ؟ أليست أربع مرات أكبر ؟

العبد : بدون شك ٠

سقراط : ولكن اذا كان شيء ما أربع مرات أكبر من شيء آخر ، هل يعني ذلك أنه ضعف الآخر ؟

العبد : كلا ٠

سقراط : فاذا ، كم مرة يكون أكبر منه ؟

العبد : أربع مرات ٠

سقراط : فاذا ، تضعيف الخط ، يا صبي ،

لا يعطينا مساحة ضعف الأولى ولكن مساحة أربع مرات أكبر من الأولى ·

العبد : حقا تقول ·

سقراط : لأن أربع مرات أربعة تساوي ستة عشر ؟ أليس كذلك ؟

العبد : نعم ·

· · · · · · · ·

سقراط : ما رأيك يا مينيون ؟ هل يوجد في أجوبة هذا الصبي رأي هو ليس منه ؟

مينون : كلا ، جميع الاجوبة منه ·

سقراط : ولكنه كان يجهل قبل أن أسأله ·

مينون : هذا حق ·

سقراط : فاذا ، هذه الآراء كامنة فيه ، أليس كذلك ؟

مينون : بلى ·

سقراط : فاذا ، من يجهل الشيء ، مهما كان ذلك الشيء ، فان لديه بعض الظنون الصادقة عن هذا الشيء الذي يجهله ·

مينون : يبدو ذلك ·

سقراط : عند هذا العبد ، هذه الظنون الصادقة أخذت تظهر كأنها في حلم · أما اذا ناقشناه مرارا وبطرق مختلفة في ذات المواضيع ، كنت واثقا أنه ستكون لديه ، في النهاية ، معرفة حقيقية أكثر من أي شخص آخر ·

مينون : يجوز ·

سقراط : انه سيحصل على المعرفة ، بـدون معلم ، بل بواسطة السؤال فقط ، اذا انه سيعثر على المعرفة الموجودة فيه ·

مينون : نعم ·

سقراط : ولكن العثور على المعرفة الكامنـة فينا ، أليس ذلك تذكر ؟

مينون : بدون شك ·

سقراط : ولكن هذه المعرفة التي عثر عليهـا الآن ، اما انه اكتسبها في زمن من الازمان واما هي كانت دائما فيه ؟

مينون : طبعا ·

سقراط : فاذا كانت دائما فيه ، يعني انه كان دائما عالما . أما اذا كان قد اكتسبها في وقت من الاوقات ، فانه لم يكتسبها في هذه الحياة الحاضرة ، والا لكان له أستاذ علمه الرياضيات ، اذا ، ان ما ذكره الآن يمكننا أن نستمر معه في المناقشة حتى نستعرض كل علم الهندسة ، وكذلك جميع العلوم الأخرى ، بلا استثناء ، فهل يوجد من علمه كل هذه العلوم ؟ لا بد انك تعرف ذلك ، لا سيما انك تقول ان هذا العبد ولد ونشأ في منزلك .

مينون : أنا متأكد انه لم يكن له أي معلم .

سقراط : ولكن هل لاحظت فيه هذه الظنون أم لا ؟

مينون : بدون شك انها موجودة فيه ، يا سقراط .

سقراط : فان لم يكن قد تعلمها في هذه الحياة، أليس من البديهي انه اكتسبها في زمن آخر .

مينون : بدون شك .

سقراط : أليس هذا الزمن هو الزمن الذي لم يكن فيه انسانا بعد ؟

مينون : بلى ٠

سقراط : فاذن ، اذا كان في الزمن الذي أصبح فيه انسانا ، وفي الزمن الذي لم يكن فيه بعد انسانا، كانت لديه هـذه الظنون الصادقـة التي اذا مـا استيقظت بواسطة السؤال أصبحـت علمـا ، ألا يستنتج من ذلك ان نفسه كانت عالمة في كل وقت ؟ لأنه من الواضح ان وجوده أو عدم وجوده كانسان يمتد على مدى الزمان ؟

مينون : هذا أمر واضح ٠

سقراط : فاذا كانت حقيقة الاشياء دائمـا في نفسنا ، فاذن نفسنا خالدة ٠ لذلك اذا تصـادف وجهلنا للشيء ، بمعنى أننا لم نتذكره ، علينا أن نبحث عنه ونتذكره من جديد ٠

مينون : يبدو لي أنك على حق ، يا سقراط ، ولكن لا أدري كيف ذلك ٠

سقراط : ويبدو لي أيضا كذلك ، يا مينون ٠ اني لا أستطيع أن أقول ان كل ما أذكره هنا هو حق ، ولكن هناك نقطة واحدة أدافع عنها بكل ما

اتيت من قوة ، بالقول وبالفعل ، وهي أنه اذا كنا متيقنين أنه يجب علينا أن نبحث عما لا نعرف ، فاننا نصبح أحسن وأشجع مما كنا ، وأقل كسلا عما اذا تيقنا انه يستحيل علينا أن نبحث ، وأنه لا يجب علينا أن نبحث عن ما لا نعرف •

مينون : وأنت ، يا سقراط ، على حق هنا أيضا •

افلاطون ومعاذلة النفس :

ينسب الى أفلاطون كتاب اسمه « معاذلة النفس » يعني زجرها وابعادها عن الامور الشهوانية الموجودة في عالم الكون والفساد ، وهذا الكتاب عامر بالحكم والمواعظ الروحانية ، والمقاييس العقلية ، في أربعة عشر بابا ، ملئت بالأنيات والماهيات والاجرام والعناصر وجرم الفلك والانوار الصافية وجوهر النفس وعالم الكون والفساد والحركات الفلكية وانفعالاتها الماورائية المنسجمة مع الوجود والموجودات •

قال أفلاطون في مخاطبته لنفسه : « يا نفس ! تمثلي وتصوري ما أنا مورده لك من المعاني العقلية

الموجودة وجودا دائما • فما تصورته فقد عقلته واقتنيته وتيقنته كتيقنك أن الحي جنس لنوع الانسان ، وأن المتنفس جنس لنوع الحي ، وأن الجسم جنس لنوع المتنفس ، وأن الجوهر الاقصى جنس لنوع الجسم ، وكتيقنك أيضا ان المستوى غير المعوج ، وأن الكل أعظم من الجزء ، وأن الماء يروي من العطش وأنه بارد رطب بالطبع ، وأن النار تحرق وتنضج وأنها حارة يابسة بالطبع ـ وكسائر ما قد عقلته وشاهدته وشافهته في عالم العقل وعالم الحس ، وما خفي عنك يا نفس مما أنا مبينه لك ، فاستعملي فيه التمثل العقلي المتقن الصحيح البريء من الاختلاط والاختلاف ، فانه سيدلك ظاهر ما شاهدته على باطن ما خفي عنك ، كما استدل الناظر الى الصورة الممثلة في الحائط على وجود المصور لتلك الصورة الممثلة ، وكما استدل بما عاين من حركات يده على سرائر تخطيطها وتشكيلها على لطائف ما كان قائما في فكره ونفسه من جملة ذلك ، يا نفس : فانه قد يستعمل التمثيل على سائر الاشياء بالآثار الموجودة عند غيبة المؤثرين لها ، وأيضا قد يستعمل التمثيل له في الاعتبار والتعجب مما قد ورد ومما هو وارد لا محالة

بضروب الامثال على غائب الاشياء وشاهدها •
فاستعملي ، يا نفس ، التصور والتمثل في سائر الأشياء الموجودة عقلا وحسا • واعلمي ان الشيء الذاتي بالحقيقة الاصلي التام النوري هو المفيد الحكم اللطيفة والتمييزات الشريفة والحياة الدائمة وسائر الاشياء التي هي جزئيات له لا أجزاء ، وهو كلي لها لا كلا • فأعتبري ذلك يا نفس وتيقظي واحذري الغفلة والتواني،واستعملي التهذب من أوساخ الطبيعة ، واستعيني على ذلك بالخضوع والرغبة والابتهال الى ينبوع الخير ومظهره ، وأمل العقل ومبدعه ، ومفيد الحياة والحكمة والجود التام والرحمة ، تحيي بذلك يا نفس وتسعدي •

يا نفس ! ان مبدع الاشياء ومبدئها ومنشئها ــ جل جلاله وتقدست أسماؤه ــ صنعك وأبدعك وجملك ذات التصور والتمثل : فأما التصور فتصورك على حقيقة ما أبدعه مبدعه ، وأما التمثل فتمثلك ما خفي عنك معناه من عالم العقل بما شاهدته في عالم الحس ، مثلا بمثل ، ومعنى بمعنى، كما أن تدل ذات الصورة المطبوعة في الشمع على معناها وحقيقتها في الطابع ، وكما تدل الصورة

الممثلة في الطابع على معنى حقيقتها في نفس ممثلها ومصورها ، وكما يؤثر الماء في الرمل والطين معاني حركاته وتموجه ٠

فاكتفي مني يا نفس بحقيقة ما قد أوردته لك ، واعلمي أن جميع ما أنت مشاهدة له في عالم الكون والفساد من الصور والصنع انما هي تمثيلات وتشكيلات معان هي في عالم العقل بالحقيقة غير زائلة ولا بائدة ٠ وما في العالم الروحاني فملاحظته بالمشاهدة العقلية ٠ فيجب على كل روحاني وجسماني عند بلوغه الكون الجزئي أن يتيقن بالعقل أنه حقيقة غير زائلة ٠ وانما يصور العقل ذاته لذاته في الهيولى ، ثم ينظر بذاته الى معاني ذاته وصورها فيلتذ بذلك اعجابا منه بذاته ، اذ اللذة العقلية هي مما يناله العقل من ذاته بذاته لا بشيء خارج عنه ، ولا يعرض عارض بل من ذاته لذاته ٠ وهذه هي اللذة الحق الدائمة الابدية ٠

يا نفس ! تيقني واقتني معرفة الاشياء بآنياتها وماهياتها ولا تحتفلي بمعرفة كيفياتها وكمياتها ، لأن المطلبين الاولين بسيطان أزليان ولا وسيط بين النفس وبينهما ، وأن المطلبين الآخرين مركبان

زائلان زمانيان مكانيان . واعلمي يا نفس أن علم التركيب لن ينفصل معك مجردا محمولا في ذاتك عند مفارقتك الحس . فخذي علم البسيط ، وذري علم المركب .

يا نفس ! هذا جرم الارض هو أثقل الاشياء كلها وذلك لرسوبه تحت سائر الاشياء وطفو سائر الاشياء كلها عليه ، ولذلك صار هذا الجرم في الغاية القصوى من الكثافة والجلافة والانحصار والكزازة وعدم النور والحياة . ثم يتلو هذا الجرم من الاشياء جرم الماء وهو ألطف من الارض وأصفى وأشرف وأنور وأقرب الى الحياة . ثم يتلو جرم الماء جرم الهواء ، وهو ألطف من الماء . ثم جرم النار الذي هو ألطف العناصر الاربعة وأشرفها وأشدها نورا . ثم يتلو جرم النار جرم الفلك الذي هو صفو ما تحته والمخصوص بالشرف على سائر الاجرام للطافته واشفافه وشدة أنواره وحسن نظامه وترتيبه وقربه من الحياة ومجاورته الاشياء الشريفة الحية العاقلة ، وأنه متشكل بسيد الاشكال وأتمها وأصحها الذي هو الشكل الكروي المدور ، وأن سائر ما يحتوي عليه متشكل بشكله كرة دون كرة على الترتيب الذي ينتهي الى كرة الارض . ثم

التالي لجرم الفلك الذي هو أقصى الاجرام كلها هو جوهر النفس المعطية الافلاك الحركة النظامية والأنوار الصافية الشريفة التي هي ألطف من سائر ما أحاطت به من الاشياء واحتوت عليه • وذلك أن سائر ما تحتوي عليه أجسام وهي لا جسم ألبتة ، وأن سائر الاشياء مما دونها لا حياة له الا بها ، وأنها ذات الفكر والارادة والتمييز • فما واصلته أظهرت فيه ذاتها على حقيقة قبوله فصار حيا وما لم تواصله لم يوجد له فكر ولا ارادة ولا حركة ولا تمييز • وما فقد شيئا من هذه الاشياء فهو ميت لا محالة • والشيء التالي لجوهر النفس والعالي عليها والمحيط بها هو العقل • وبحق أنه ألطف الموجودات وأشرفها وأعلاها منزلة ، وانه المرتب تحت أفق الأزلي تبارك وتعالى والآخذ عنه بغير وسيط ، والمفيد جميع ما تحته الشرف والنور والحياة ، وأنه الترجمان الاعظم والحاجب الاقرب•

فتأملي ، يا نفس ، هـذا الترتيب وتيقنيه واعتقديه فانه هيئة الموجودات ونظامها وترتيبها »•

أفلاطون والانسان المخادع لنفسه في الطبع :

وفي الفصل الثاني يتحدث أفلاطون ناهيا نفسه

عن المخادعة والغرور ، لأنها من أفعال أصحاب العقول الناقصة ، ويقول : « يا نفس ! لا تذمي الدنيا وتقولي : هي دار خديعة ومعيدة وغرور ، فانها ليست كذلك الا عند ذوي العقول الناقصة ومن يعرض له الجهل والنسيان . ولو كانت دار خديعة بالحقيقة لكان الانسان منذ بدء ظهورها فيها الى وقت خروجه منها لا يشافه منها الا نعيما ولذات وسرورا . ثم تأتيه المساءة حينئذ بغتة فتزيله عن ذلك النعيم ويستحيل به ما كان فيه الى خلاف ذلك . وليس الامر فيها كذلك ، بل انما يرى الانسان ينشأ في هذه الدنيا ويتربى بأحوال مختلفة لا نظام لها . فيوما محزون ، ويوما مسرور ، ويوما متلذذ ، ويوما متألم متوجع . والشيء اذا أظهر لك جميع ما في طبعه فقد أنصفك ونصحك ، وانما المخادع من كان في طبعه الخير والشر فأظهر لك الخير وأبطن الشر لوقت الفرصة والمكنة منك . ولست أرى أحدا نال من هذه الدنيا فرصة الا وأعقبه ذلك غصة وألما . وليس هذا شرط المخادعة من قبل الدنيا ، وانما المخادعة من قبل الانسان لنفسه ، وذلك أن الانسان الناقص هو المخادع نفسه المهلك لها ، لا الدنيا ،

لأن الدنيا قد أظهرت له جميع ما في طبعها من نعيم وبؤس • فاغتبط الانسان الضعيف العقل بنعيمها واعتقده دائما وأنس بؤسها وأهمله ثم يقول : خدعتني الدنيا ! وأي خداع خدعته الدنيا ! وانما هو المخادع نفسه والمهلك لها •

يا نفس ! لا تكن أخلاقك في هذه الدنيا كأخلاق الصبي الذي لا عقل له • ان أطعم ورفق به رضي وضحك ، وان شدد عليه بكى وغضب • فهو بينما يكون ضاحكا حتى يكون باكيا ، وبينما يكون راضيا حتى يكون غضبان • وليست هذه أخلاق العقل الوحيد ، بل أخلاق مشتركة مذمومة •

يا نفس ! انما رتبت الدنيا على هذه المعاني المختلفة التي هي خير وشر ، ونعيم وبؤس ، وشدة ورخاء • تنبيها للنفس ، وايقاظا لها ، ومثالات تعمل عليها فتكتسب بذلك العقل المضيء المنير والعلم الثابت الذي هو الحكمة والمعرفة بحقائق الاشياء ، وانما وردت اليها النفس لتعلم وتخبر • ومن ورد الى محل من المحال ليعلمه ويخبره ويعرف حاله ثم ترك العلم والبحث والاختبار وتشاغل بالنعم والتلذذ • فقد ضيع مطلبه ونسي أربه الذي قصد له •

وانما شرحت لك يا نفس هذا الشرح لئلا تكوني في رتبة الذامين للدنيا عند سخطهم عليها ،والمادحين لها عند رضاهم عنها ، وليس هم بالحقيقة لا ذامين ولا مادحين ، بل هم تائهون ضالون قد أضاعوا طلبهم وأنسوا أربهم وذهب استعمالهم آلاتهم باطلا غير متحققين بعلم ولا مكتسبين لقنية .

يا نفس ! انما هذه الدنيا دار علم وبحث واختبار للمتأملين . فتأملي ، يا نفس ، جميع معانيها وصورها وصنعها وتشكيلاتها المحسوسة السائلة الزائلة البائدة، الاعراض والاشخاص . واعلمي انما هي مثالات الصور بالحقيقة والصور الحقية والتشكيلات الحقية الدائمة الابدية .

وبالجملة ، يا نفس ، فانه ليس في عالم العقل نوع الا وشكله ظاهر في كيان جريان الطبيعة . وكذلك جميع ما هو موجود في عالم الكون انما هي دواع ومثالات : فلذاته الكاذبة الزائلة تدل على اللذات الصادقة الدائمة ، وصوره المنحلة الزائلة السائلة الهالكة تدل على الصور الباقية الثابتة ، وان اختلاف جميع ما في الحس وزواله يدل على اتفاق جميع ما في العقل وبقائه وثباته .

فما دمت ، يا نفس ، في عالم الطبيعة فلا تطلبي منه لذة ولا تتشاغلي بمحسوس عن التعلم والتصور والتمثل والبحث والاستكشاف لجميع ما قصدت له من مطالبك وآرابك لتكفي العودة والرجوع الى اكتساب العلم • فاذا تشوقت يا نفس الى اللذات والسرور الدائم فانزعي لباسك الكدر وتهذبي من أوزار ، وتنقي من الاشياء المخالفة لجوهرك • ثم صيري الى عالم اللذات الحقيقية والسرور الدائم ، والبسي حللك الذاتية،وتصوري بصورك الجوهرية الدائمة الباقية التي أنت مشاهدة لتشكيلاتها ومثالات أنواعها وأنت في عالم الكون والفساد •

فتيقني يا نفس جميع ما قد شرحته لك واعقليه • واعلمي يا نفس أن مهلكات الامور ثلاثة أجناس : أولها الشرك وسائر أنواعه،والظلم وسائر أنواعه، والتلذذ وسائر أنواعه ، ويجمع هذه الاجناس وسائر أنواعها كلها أصل واحد • وهو حب الدنيا• فتحرزي ، يا نفس ، من الدنيا وأعرضي عنها ، وانظري اليها بعين الخائف الوجل منها • وكوني منها كالطائر الذي عرف الفخ المنصوب وفطن له فانحرف عنه وحذره • واعلمي يا نفسي أن تحرزك وهربك من جنس الشرك يذهب بك الى مرتبة

التوحيد ، وأن تحرزك من جنس الظلم يذهب بك الى رتبة النور والصفاء والتهذيب والتمحيص ، وأن تحرزك من جنس الظلم يذهب بك الى رتبة النور والصفاء والتهذيب والتمحيص ، وأن تحرزك من جنس التلذذ يريحك من مقاساة الخوف والحزن والجهل والفقر ، فتيقني يا نفس حقيقة هذه المعاني ، واعلمي صحتها تنجي وتسلمي من الهلكة .

يا نفس ! تأملي حكمة مبدع هذه الاشياء واعتبري بها ، واعلمي أن الانسان لم يخلق لمعنى من المعاني الا للعلم والعمل به ، وكذلك الثمرة الطيبة لم تخلق الا للاكل . فكما أن عنقود العنب يبدأ وهو لا يصلح لشيء مما يراد له ، ثم ترد اليه المادة السائرة به الى حد الحموضة العذبة فيكون حينئذ يصلح لبعض ما يراد منه ، لا لكله ، ثم ترد اليه المادة السائرة به الى حد الكمال في جميع المعاني التي لها يراد ، فيتكامل حينئذ . فكذلك الانسان المحسوس يبدأ الى عالمه وهو لا يصلح لشيء من المعاني التي تراد منه ، ثم ترد اليه المادة السائرة به الى المعنى الذي به يصلح أن يكون متعلما ، لا عالما . فاذا ارتاض بهذه الرتبة وردت اليه المادة الكبرى الكاملة المكملة فتجعله حينئذ عالما

عاملا فيكمل حينئذ • وكذلك الانسان المعقول انما هو القوة الآتية في العضو الواردة مع المني الى الرحم ثم حينئذ ترد اليه القوة المصورة التي يمكن أن تصوره بتوسط الاجرام الالهية • فاذا صار عقلا بالقوة ذا غضب وشهوة وردت اليه حينئذ القوة الثانية المتممة التي هي عقل بالفعل فسارت به الى حد الكمال • فحينئذ تكون جميع أسبابه بالفعل بعد أن كانت في الابتداء ، لا بالفعل ، ولا بالقوة • ثم انتقل الى مرتبة كان فيها بالقوة ، ثم ذهب من رتبة القوة الى رتبة الفعل والكمال فصار حينئذ فاعلا كاملا ، مصورا متصورا ، ممثلا متمثلا • واعلمي يا نفس أن التأمل لهذه المعاني دليل على لطيف حكمة مبدع العالم جل جلاله وتقدست أسماؤه •

يا نفس ! ان المبدع جل اسمه كالناطق الفائض بما عنده من المعاني والجواهر كلها للمستمعين منه ، وليس كل المستمعين يفهمون عن المتكلم ، بل منهم من يحتاج الى ترجمان يؤدي اليه ووسيط يتوسط بين الناطق والسامع ، وذلك لضعف تصور السامع عن فهم القول • ومن هو كذلك فهو أعجمي لا يفهم حاجته الا بترجمان يفسر له حقيقة القول • فلا

تكوني ، يا نفس ، من الجواهر المحتاجة الى الوسائط ، فان الترجمان ربما خان في تعبير الكلام، وغير القول وحرفه • فاخرجي يا نفس من رتبة العجومية الى رتبة الفصاحة ، واقتني يا نفس ، العلم قبل العمل ، ومعرفة الثمرة قبل غرس الشجرة ، لتحققي بالقول الثبوت على العلم قبل العمل ، فان لك في ذلك راحة كبيرة وفائدة عظيمة » •

أفلاطون وانعدام اتفاق الأعراض الحالة في الجوهر :

يرى أفلاطون أنه لا بد من شرح كيفية ان الاعراض الحالة في الجوهر الكثيف لا تتفق بحالة من الاحوال ، بل تظل مختلفة ومتضادة • لذلك يقول في الفصل الثالث : « يا نفس ! ان الاعراض الحالة في الجوهر الكثيف عدمت الاتفاق ، وأتت الى الاختلاف والمضادة ، فتحرزي يا نفس منها وانحرفي عنها : فهي المعنى الذي حذرته والخوف الذي خوفته • يا نفس ! أنت وحيدة وهي متكاثرة ، وأنت متفقة وهي مختلفة ، وأنت ناصحة وهي مخادعة ، وأنت حق موجود وهي لا حقيقة لوجودها، وأنت خير دائم باق وهي زخارف وتمويه مستحيل

فان • فأعرضي يا نفس عنها واحذري استعبادها اياك وقطعها لك وخذلانها بك • فلا تخرجي يا نفس عن ذاتك الوحيدة الحقية الشريفة وتتبعي تكاثرها واختلافها ومحالاتها وخساستها وعورها فتضلي وتهلكي •

يا نفس ! حتى متى أنت فقيرة هاربة من ضد الى ضد ؟ فتارة هاربة من الحر الى البرد ، وتارة من البرد الى الحر ، وتارة من الجوع الى الشبع ، وتارة من الشبع الى الجوع • وكذلك في سائر الاطعمة والروائح • ان أسرفت عليك الحلاوة افتقرت الى الملوحة ، وان أسرفت عليك الملوحة افتقرت الى الحموضة ، وكذلك في جميع المشمومات، وجميع ما أنت مشاهدة له في عالم الحس • فبينما أنت فقيرة الى المقتنيات ، فاذا وصلت اليها اكتسبت الخوف عليها ما دامت معك ، فاذا فارقتك وفارقتها فقد زال عنك الخوف وأعقبك ذلك أحزانا وغموما؟ فانزعي يا نفس هذا الشيء الذي أنت فيه ومشاهدة به لهذه الاشياء ، والذي أنت معه واجدة لهذه الامراض والآلام • ولا تأسي لمفارقة الاحزان والهموم والخوف والفقر ، ولا تكرهي مواصلة الغنى والامن والسرور • فانه من آثر الفقر على

الغنى ، والخوف على الأمن ، والذل على العز كان جاهلا ، ومن جهل فقد ضل ، ومن ضل فقد هلك ·

يا نفس ! تيقني أنك قد برزت عن أصل أنت فرعه ، وأن الفرع وان جرى الى غاية البعد عن أصله ، فان بينه وبينه وصلة ورباطا ، ولهذه الوصلة والرابطة يستمد كل فرع من أصله والشجرة المثمرة · فان الثمرة وان بعدت عن أصلها المبدىء لها فان بينها وبينه اتصالا ذاتيا به يكون استمدادها منه · ولو عدمت ذلك الاتصال· بأن يقطع بينهما قاطع مما سواهما ، فحال بين الأصل والفرع وأوجب قطع المادة عن الفرع لفسد في الحال وتلف · فتصوري يا نفس هذا ، وتيقنيه، واعلمي أنك راجعة الى مبدئك الذي هو أصلك ، فتهذبي من أوساخ الطبيعة وأوزارها المبطئة بك عن سرعة الرجوع الى عالمك وأصلك ·

يا نفس ! هذا عالم الطبيعة وهو محل الفقر والخوف والذل والحزن ، وهذا عالم العقل وهو محل الغنى والأمن والعز والسرور · وقد شافهتهما جميعا وشاهدتهما ، فتخيري على خبرة منك ، واعلمي أنك لابثة في أيهما شئت غير مدفوعة ولا

ممنوعة • واعلمي أن من الممتنع أن يكون الانسان فقيرا غنيا ، خائفا آمنا ، عزيزا ذليلا ، مسرورا حزينا ، وان كان هذا هكذا ، فكذلك لا يمكن أن يجمع الانسان حب الدنيا وحب الآخرة ، بل ذلك من باب الممتنع أشد الامتناع •

يا نفس ! انه من نزع سلاحه وكف نفسه واستسلم لعدوه وجب أسره • ومن قاتل بسلاحه وحمى نفسه ولم يستسلم لعدوه ، وجب قتله • وأي نفس وردت الى عالم الطبيعة فلا بد لها أن تسلك احدى هاتين الحالتين : اما القتل ، واما الأسر • فمن اختار الأسر فقد اختار طول العذاب وهو أن الاستعمال وذل العبودية • ومن اختار القتل فقد مات عزيزا وكان موته حياة له واستراح من الأسر وهوانه وطول ذله •

يا نفس ! متى نويت ترك الافعال الخسيسة الدنيئة فاقصدي نبعها واجتنبيه وهو حب الدنيا • ومتى نويت الافعال الشريفة الالهية فاقصدي أصلها واغرسيه وربيه ، وهو الزهد في الدنيا ، وليكن فعل ذلك بريئا من النفاق والتمويه •

يا نفس ! لا تخرج بك شدة الحذر وافراطه الى حد الجبن فتعدمي الشجاعة وشرفها ، وتكتسبي الدناءة وخساستها • واعلمي أن كل شيء مستمد من غير ذات ، وان كان غير ذات فمحتاج الى المادة ، وأن كل محتاج الى المادة فمادته متوالية به دائما طول مدته المقسومة له • فتيقني يا نفس هذا ، فان لك تحته راحة كبيرة وفائدة عظيمة •

يا نفس ! تمسكي بالتدبير الجزئي على حسب الامكان • فان تدافعت بك الامور الى جهات التدبير الكلي فارض بذلك واطمئني اليه ، واعلمي أن بذلك يسقط عنك ثقل الاهتمام والتكلف •كرجل تكلف مصباحا يستضيء به في طول الليل وظلمته ، فلما طلعت الشمس استغنى عن المصباح وزال عنه ثقل التكلف •

يا نفس ! لا تقترني بدنيئات الأمور وخسائسها فتلزمك العادة بذلك وتكتسبي طبعا مخالفا لطبعك، فتعدمي بالانصباب اليها الرجوع الى وطنك • واعلمي أن مبدع الاشياء جل وعلا هو أشرف الأشياء كلها • فاقترني بشرائف الاشياء لتقربي من بارئك بطريق المجانسة ، واعلمي أن شرائف

الأشياء ومنضافة الى شرائفهـا ، وأن خسـائس الأشياء منضافة الى خسائسها ٠

يا نفس ! تطالبين بالاستقرار وأنـت في عالم الكون ، وأي استقرار يوجد في عالم الكون ! ان الزق ما دام على ظهر الماء فلا قرار له ولا طمأنينة ألبتة ٠ وان استقر وقتا ما ، فان ذلك بالعرض ، ثم يعود الماء الى اضطرابه وتموجه بما على ظهره ، وانما يستقر ذلك الزق اذا أخرج من الماء وأعيد الى الارض التي هي ينبوعه وأصله المشاكلة لـه بالكثافة والثقل ٠ فحينئذ يستقر به القـرار ، وكذلك النفس ما دامت في جريان الطبيعة فلا قرار لها ولا راحة ولا طمأنينة لاتعابه اياها وخذلانـه اياها وقطعه لها ٠ فاذا عادت النفس الى ينبوعها وأصلها استقرت وظفرت بالراحة ، واستراحت من شقاء الغربة وذلها » ٠

العالم الطبيعي صفو وكدر فما على النفس الا أن تتجرع كدره قبل صفوه :

يعتقد أفلاطون وهو يحلل الفصل الرابع من كتابه « معاذلة النفس » ان عالم الطبيعة يتخللـه

الصفو والكدر ، لذلك فهو يشجع نفسه على تجرع الكدر قبل الصفو فيقول : « يا نفس ! ان عالـم الطبيعة صفو وكدر ، فتجرعي كدره قبل صفوه • وكذلك ينبغي لمن طلب السعادة أن يسوس نفسه هذه السياسة • واعلمي أن شرب الصفو بعد الكدر خير من شرب الكدر بعد الصفو ، فلا تغتري بأن في عالم الطبيعة صفوا يوجد ، فان وجد فيه صفو فليس هو بالحقيقة ، لأن ما لا دوام له لا صفـو فيه ، بل كدر كله وثقل • وانما ضربت لك مثلا • فان أردت الشيء الصافي الهنيء فاطلبيه في غير عالم الكون والفساد • فانك ان طلبته في معدنه وجدته ، وان طلبته في غير معدنه عدمته • وان أنت عدمت طلبك وفاتك أربك ، اقترنت بك الاحزان والفقر، وأعقبك ذلك مرضا يؤديك الى الموت من العيش العقلي والحياة الدائمة •

يا نفس ! ان هذا المركب الذي قد ركبته في هذا البحر العظيم انما هو من أمياه تجمد وبالعرض تركب ، ويوشك أن تطلع عليه الشمس فينحل الى عنصره ويتركك جالسة على وجه الماء ، ان أمكنك الجلوس ، تطلبين مركبا ولا مركب تجدين الا ما اكتسبته من جودة السباحة وحسن التهدي •

يا نفس ! ان الماء الصافي النقي يؤدي البصر الى سائرة في ذاته • واذا شابه الكدر والوسخ حجب النظر عن ادراك سرائر الاشياء المستكنة فيه، وكذلك نور الشمس اذا أشرق على الاشياء كان النظر مدركا لها بالحقيقة • فاذا عرض فيه البخارات والدخان والغبار حيل بين البصر وبين ادراكه تلك الاشياء • وكذلك أنوار العقل اللطيفة الشريفة اذا امتزجت بالأشياء الجلفة الكثيفة المظلمة كدرتها وأعاقتها عن ادراك ما في ذاتها من الصور والاشكال ، وأعدمتها التصور العقلي • فحينئذ تبقى النفس فقيرة من مقتنياتها ، جاهلة بمعلوماتها ، عادمة حسن التهدي الى طريق نجاتها •

يا نفس ! ليس الزهد في الدار ترك تزويقها واصلاحها مع الرضا بالمقام فيها • وانما الزهد التام الرضا بالتحول عنها ، والاشتياق الى النقلة منها ، وكذلك يا نفس : ليس الزهد في عالم الطبيعة ترك لذاته وشهواته مع الرضا بالمقام فيه ، وانما الزهد بالحقيقة شدة الشوق الى مفارقته والراحة منه ومن معاندته ومضادته واختلافه وظلمته • فينبغي لك يا نفس أن تعتقدي الشوق الى الموت الطبيعي والرضا به ، وتحاذري الفشل

عنه • فبالخوف منه تكون الهلكة ، وبالتشوق اليه تكون السلامة • أليس تعلمين يا نفس أن بالموت الطبيعي تنتقلين من الضيق الى السعة ، ومن الفقر الى الغنى ، ومن الحزن الى السرور ، ومن الخوف الى الأمن ، ومن التعب الى الراحة ، ومن الألم الى اللذة ، ومن المرض الى الصحة ، ومن الظلمة الى النور ؟ فلا تأسي يا نفس أن تسلبي حلل الشر والشقاء ، وتلبسي حلل الخير والبقاء ، مع تيقنك حقيقة ذلك ومشافهتك اياه ومشاهدتك له بذاتك الفاردة الوحيدة •

يا نفس ! تطالبين بالاخوان والاصحاب في عالم الكون ، وقد علمت أن ذلك من جنس الممتنع ، وانما يوجد ذلك في عالم الروحانيين لانفراد ذواتهم وتمحصها وصفائها • فان أحببت ذلك فصيري الى هناك لتظفري بمطلوباتك ، ولا تطلبي في عالم الكون ما ليس فيه ، لأن سكانه أسرى ومماليك • وأي أخوة لأسير ، وأي عهد لمملوك ؟ فتيقني ذلك ، واعملي به ، واعتقديه •

يا نفس ! اعلمي وتيقني أن كل فاقد تائه ،

وأن كل تائه هالك • فاحذري أن تقتني ما تفقدينه فتتوهمي وتهلكي •

يا نفس ! ما أشد مفارقة الاحباب ! وأشد من ذلك محبة كل مفارق !

يا نفس ! ان أهل الدنيا مظلومون ظالمون ، مغرورون غارون : ومن ذلك أنهم يستقبلون النفس الواردة الى دار الهموم والاحزان بالطرب والسرور ، ويشيعونها اذا صدرت عنها بالبكاء والعويل • وكفى بهذا ، يا نفس ، ظلما ومخالفة للحق والعدل !

يا نفس ! تيقني وتفهمي بالاستقراء والتأمل ، واعلمي أن أربعة أشياء هي السبب في هلاكك لا محالة : وهي الجهل ، والحزن ، والفقر ، والخوف • فاعلمي يا نفس أن من بحث عن العلم عدم الجهل ، ومن ترك المقتنيات الخارجة عنه عدم الحزن ، ومن عف عن الشهوات عدم الفقر ، ومن تشوق الى الموت الطبيعي ورضي به عدم الخوف •

يا نفس ! الجاهل لا يعلم الشيء حقيقة ألبتة • والمقتني الاشياء الخارجة عنه حزين طول دهره ،

والفقير الى الشهوات الحيوانية فقير أبدا ٠والخائف من الموت الطبيعي قد عدم حلاوة الامن ٠ فهل يكون أشقى في نفس جاهلة حزينة فقيرة خائفة ؟!

يا نفس ! انه لو تقررت لك رتبة الصبر على مضض العدم السائر بك الى حد الانفصال من الطبيعة ، لعدمت الخوف مع الفقر جميعا ٠فاعتقدي يا نفس الصبر ، ولا تجمعي مع الحزن والأسر والغربة فقرا وخوفا فتهلكي ٠

يا نفس ! ان الموت تحت الصبر والثبات عز ، وان الموت تحت الهزيمة والفشل ذل ٠ يا نفس ! ان القتل انما هو ساعة وتنقضي ، ومقاساة ذل الأسر حال تطول ، فارضي بالقتل في الطبيعة ولا ترضي بالأسر ، فان القتل في الطبيعة هو الحياة الدائمة ، وان الأسر في الطبيعة هو الموت الدائم ٠

يا نفس ! هذه رتب ثلاث ٠ فكوني على أشرفها وأجملها ٠ فأدناها رتبة رجل عالم غير عامل ٠ومثل ذلك كرجل ذي سلاح لا شجاعة فيه ٠ وما عسى يصنع الجبان بالسلاح ؟ والرتبة الثانية : رجل عامل غير عالم : وهو كرجل شجاع لا سلاح له ،

فكيف يلقى عدوه من لا سلاح معه ؟ غير أن الشجاع على السلاح أقدر من الجبان على الشجاعة. وكذلك عامل غير عالم أشرف من عالم من غير عامل. والرتبة الثالثة هي رجل عالم عامل : فهو كرجل ذي شجاعة وسلاح ، وهذه ينبغي أن تكون الرتبة الشريفة.

يا نفس ! ان القمر نير ما دام يرد اليه نور الشمس. فاذا عرض له أن يحول بينهما ظل الأرض انخسف وأظلم. فكذلك النفس نيرة مضيئة ما دام يرد اليها نور العقل. فاذا توسطت أسباب الكون والفساد حيلانا بينهما عدمت النفس نورها فانكسفت وأظلمت. وكما أنه ما دامت الارض في وسط العالم لن يعدم القمر الخسوف ، فكذلك النفس ما دامت ملازمة الطبيعة لن تعدم الظلمة والأذى. فقد تبين من هذا الشرح أن راحة النفس في مفارقتها الطبيعة والتحول عن هذه الدنيا عاجلا ».

العقل هو التصور والتمثل برأي أفلاطون :

يعالج أفلاطون في الفصل الخامس من كتابه

« معاذلة النفس » قضية العقل الذي يعتبره ليس هو شيئا غير التصور والتمثيل فيقول : « يا نفس ! ان العقل ليس هو شيئا غير التصور والتمثل • وأي نفس عدمت التصور والتمثل فقدت ذاتها • ومن فقد ذاته فهو ميت •

يا نفس ! ان التصور والتمثل هو العقل الذي هو الحياة الدائمة والتلذذ ، والتنعم بالدنيا هو الموت الدائم • فلا تؤثري مزايلة الحياة الدائمة على مفارقة الموت الدائم فتهلكي •

يا نفس ! ما بال سائر الجواهر الطبيعية غير العاقلة متحركة بالطبع الى عناصرها ومواضعها الخاصة بها ؟ وبحق أن كل جوهر انما شرفه وعزه أن يرجع الى عنصره ويكون بنبعه ومحله وأصله !

يا نفس ! أليس سائر ما يتكون من التراب كالحجارة وغيرها يرجع متحللا الى التراب الذي هو أصله ونبعته ، حتى انه لو أخذ جزء من الارض فعلي به على وجه الارض ثم خلي سبيله لعاد مسرعا بحركته الطبيعية الى عنصره وأصله ؟وكذلك سائر المياه تراها أبدا منحدرة بالطبع ذاهبة

مجتازة الى عنصرها الاعظم ما لم يعقها عائق ، كسائر العيون التي تنضاف الى الانهار ، وكسائر الانهار التي تنضاف الى البحر الذي هو عنصر الماء. وكذلك كل شيء مما سوى ذلك كسيلان النار الى العلو راجعة الى عنصرها الأعلى ، وكسيلان الهواء راجعا الى عنصره . فاذا كانت هذه الاشياء التي ليس لها عقل ولا تمييز ، وانما حركتها حركة هيام وطبع به يتحرك كل واحد منها الى حيث شرفه وعزه وقوته ، ويأبى الغربة والبعد عن وطنه ومحله . فما بالك أنت ، يا نفس ، وأنت ذات العقل والتمييز ، تأبين الرجوع الى وطنك وعنصرك الذي هو شرفك وعزك ، وتكرهين ذلك وتحبين البعد عن أصلك ونبعك ، وتختارين اللبوث في الأرض الغريبة ، ومقاساة الذل والهوان ؟ فيا ليت شعري ! أبالطبع تختارين ذلك ، أم بالعقل ؟ فان كان ذلك بالطبع فساوي الطبيعة في أفعالها بالطبع ورجوعها أمدا الى عناصرها . وان كان هذا منك بالفعل والتمييز ، فكيف يجوز للعاقل المميز أن يختار الغربة على الوطن ، ومحل الخساسة على محل الشرف ، ومقاساة الذل والهوان على الراحة والعز والكرامة ؟ ومن حصل على هذه الرتبة فقد

بان أنه لا يعد في رتبة الطبيعيات ولا في رتبة العقليات • وما لم يكن من هذين الجنسين فليس بشيء ولا يعد في الموجودات ، بل ينبغي أن يكون منفيا منها • فتصوري يا نفس هذه المعاني ، وارجعي بعقلك الى شرفك الأعلى ومحلك الاقصى •

يا نفس ! اني تأملت اللذات كلها فلم أجد ألذ من ثلاثة أشياء ، وهي : الأمن ، والعلم ، والغنى ، ولكل واحد من هذه الاشياء أصل وينبوع يحركه : فمن طلب العلم فليذهب الى معنى التوحيد فانه بالتوحيد تكون المعرفة والعلم والتحقيق ، وبالاشتراك تكون النكرة والجهل والشك • ومن طلب الغنى فليذهب الى رتبة القنوع ، فانه حيث لا قنوع لا غنى • ومن طلب الأمن فليعتقد التمني لمفارقة عالم الطبيعة ، وهو الموت الطبيعي •

يا نفس ! ما دمت في عالم الكون فاحذري حالين هما مهلكات للنفس فاحذريهما وانحرفي عنهما انحراف الخائف الوجل منهما ، وهما النساء والأشربة المسكرة • يا نفس ! ان الواقع في مصيدة النساء كالطائر الواقع في يد صبي لا عقل له ، فالصبي يلهو به ويلعب ويفرح بهجا مسرورا ،

والطائر في خلال ذلك يتجرع غصص الموت ويلقى أنواع العذاب • وكذلك ، يا نفس ، ينبغي أن تحذري الشرب والسكر : فان السكر يجعل النفس كالسفينة الجارية في تيار الماء وأمواجه وليس فيها ملاح ولا مد بريد برها • فكذلك النفس اذا فارقت العقل جرت الطبيعة بها جريا هائما لا ترتيب له ولا نظام ، فهلكت وتلفت •

يا نفس ! ان الشيء الذي يأتيك علمه ثم يعاودك نسيانه فتيقني أنه انما يأتيك علمه من خارج ذلك بمادة تتوسط بينك وبين علم ذلك الشيء • فاذا عاودك نسيانه فانما ذلك من قبل ظلمة الجسد واختلافه وثقله واجتذابه اياك الى ذاته ، واعاقته لك بكثرة أضداده وتركيبه ، فتعودين ، يا نفس ، ناسية لما قد كنت ذكرته ، وجاهلة لما قد كنت علمته • ومثل ذلك يا نفس كمثل البصر والمبصرات والظلمة والنور ، وذلك أن البصر يكون في الظلمة وتكون المبصرات حاضرة بين يديه فلا يراها ويضعف عن ادراكها • فاذا ورد اليه النور المضيء أعانه على ادراك مبصراته ومحسوساته التي قد كانت قبل ذلك غائبة عنه ، فكان ذلك النور سائقا له اليها ومتمما له ادراكه

اياها ، وجاعلها فيه بالفعل بعد أن كانت فيه بالقوة • فما دام البصر واجدا ذلك النور فهو واجد لمبصراته ومدرك بها • فاذا فقد النور وعاودته الظلمة عاد الى فقد جميع محسوساته • ولو دام له النور أبدا لدام له الادراك أبدا ما دام النور وعدم الظلمة • فاذا كان قد اتضح لك ، يا نفس ، أن النور يأتي من قبل العقل ، والظلمة تأتي من قبل الجسد ، فينبغي لك يا نفس ألا تأسفي على فراق الجسد لشدة اضراره بك وخذلانه اياك واعاقته لك عن ادراك معلوماتك الدائمة الحقيقية ، بل ينبغي لك يا نفس أن تأسي على مفارقتك عالم العقل النوري لكثرة منافعه لك ومساعدته اياك على نيل مطلوباتك • فانصرفي ، يا نفس ، عن الطبيعة زاهدة فيها ، قالية لها ، خائفة منها حذرة من عواقبها ، فازعة الى عالم العقل الذي هو أصلك ونبعك ومعدن شرفك وعزك • تحبي بذلك الحياة الدائمة ، وتستكملي السعادة التامة الكاملة •

يا نفس ! حتى متى والى متى أنت في عالم الكون تطوفين واردة وصادرة ، وذاهبة وراجعة ؟! تتخذين القرناء الخلان فخليلا تتركين ، وخليلا تصحبين • ليس من خليل تصحبينه فيخشن لك منه

جانب الا ولان لك منه جانب معتقدا لك الغدر والخذلان ، وأنت معتقدة له الوفاء والمساعدة • يعتل فتصححينه ، ويدنس فتطهريه • فهو دائما يقابلك بما في جوهره وطبعه ، وأنت دائما تقابلينه بما في جوهرك وطبعك • ثم يعقبك بعد هذا كله بالقطيمة الكلية والفراق القاطع على غير جرم أجرمته ، ولا ذنب جنيته ولا شر صنعته • فأنت في كل حين متجرعة من الفراق غصصا وفاقدة الفا وخليلا ، على غدرهم بك ووفائك لهم ، وظلمهم اياك وانصافك اياهم • لا عن الآخرة بالأولى تزجرين ، ولا بطول تجربتك واختبارك لهم تتعظين وتعتبرين • فحتى متى ، والى متى تصاحبين الاشرار الظالمين والخونة الغادرين ؟ أهذا جهل منك وعمى، أم تجاهل وتعام عن الصواب ؟! » •

أفلاطون ينصح نفسه بعدم مصاحبة قرناء السوء :

يوجه أفلاطون الى نفسه النصح طالبا منها الابتعاد عن قرناء السوء لأنهم كلهم سواء ، ويقول في الفصل السادس من كتابه « معاذلة النفس » : « يا نفس ! انه لو شرب شارب من الماء شربة واحدة لقد كانت تلك الشربة تقرر في نفسه المعرفة

بطبيعة الماء كله ، وان اختبار الجزء من الشيء الفارد لينبىء عن جميع كليته ، وان الناظر الى كف من التراب فقد رأى التراب كله ، وان اختلفت ألوان التراب فليس جوهره بمختلف ولا حدة ، وان المصاحب للقرناء الذين كلهم من طبيعة واحدة وجوهر واحد لعارف بأن أحدهم لينبيء عن جميعهم والقليل منهم ينبيء عن كثيرهم • فاقتصري يا نفس على هذا الشرح ، واكتفي به ، توفقي للنجاة والسلامة •

يا نفس ! اني أرى كل شكل يحن الى شكله ، وكل نوع ينضاف الى نوعه ، فينبغي أن تكوني بهذا المعنى عارفة •

يا نفس ! أنت صافية فلا تعجبي كدرا ، وأنت نيرة مضيئة فلا تعجبي مظلما ، وأنت حية ناطقة فلا تعجبي ميتا أبكم ، وأنت عالمة عادلة فلا تصبحي جاهلا جائرا ، وأنت طاهرة نقية فلا تعجبي نجسا دنسا ، وأنت متصرفة بالتمييز والارادة العقلية فلا تصحبي المتحرك حركة الهيام والالتباس والتشويش • فان أنت لم تتحققي شرحي هذا فأريني كيف يكون الاتفاق من معانيك التي ذكرتها

بمعاني سواك ؟! ومن المحال يا نفس أن يثبت لك اجتماع المخالفين في معنى واحد • فثقي يا نفس بقولي ، وارجعي الى ما رسمته لك وحددته تجدي الحق وتظفري بالصواب •

يا نفس ! ما أشغل الغريق في الماء عـن صيد السمك ! وكذلك ساكن الدنيا : ما أشغلـه عن مقتنياتها ولذاتها بخلاص نفسه ان فطـن لسوء وقوعه فيها • يا نفس ! يكفيك وأنت في عالـم الحس ما تعانيه من آلاتك وأضدادها وأوساخها ، فلا تضيفي الى آلاتك شخصا آخر ، فتكوني كالغريق المرتهن في البحر قد حمل على عاتقه حجرا ، وما أرى أن غريقا ينجو من البحر مجردا بنفســه ، فكيف اذا حمل على عاتقه آخر غيره !

يا نفس ! ان سلوك طريق النجاة من قبلـك يكون بحسب ما تعرفينه وتختبرينه • وذلك أنه ان كانت معرفتك بالمحسوسات فقط ، فانه في وقت انتقالك الى ما علمته تنقلين ، ونحوه تتجهين ، وبه تغتبطين • وان كانت معرفتك بالمعقولات وآثرتها على غيرها فنحوها تتجهين ، واليها تنتقلين ، وبها تغتبطين •

يا نفس ! هذه دار المحسوسات ودار المعقولات محضرة بين يديك ، وكلاهما قد خبرته وشافهته ، فتخيري أيهما شئت لا مدفوعة ولا ممنوعة ، واذهبي الى أحظاهما عندك • فان اخترت اللبوث في دار الحس فأقيمي على ما قد خبرتــه وعرفته ، وان أحببت المصير الى دار العقل فينبغي لك قبل الانفصال أن تتصوري معنى طريقك وسلوكــك اياه علــى ترتيبه محلا بعد محل حتى تنتهي الى محل المستقر • فان كنت ، يا نفس ، ذاكرة لهذا الطريق فاحذري أن يحول بينك وبينــه النسيــان والخوف وقــت الانفصال فتضلي وتتوهي • وان كنت يا نفس ناسية لهذا الطريق فتذكريه واستيعني على تذكره بوصف سالكيه وخابريه فانهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى والأدلاء على المسلك الأعلى الى الانتهاء • واعلمي يا نفس أن كل شيء يذهب وينتقــل الى العلا ينبغي أن يكون خفيفا صافيا نقيا ليكــون أسرع لمره الى غايته ، وأن كل شيء يذهب نحو السفل ينبغي أن يكون ثقيلا كدرا ، وعلى حسب كدره وثقله تكون سرعة ممره الى غايته •

يا نفس ! ان الاصناف الشريفة ترد من عالمها الى عالم الطبيعة ورود مختبر له • فاذا استعملت

الآلات التي تشافه بها الطعوم والروائح والمبصرات، وجميع الآلات العارضة في الحس نسيت عالمها وجميع ما فيه وظنت أنه لا شيء غير ما هي مشاهدته في الحس فحينئذ تنسى عالم العقل وتعدم ذكره • فاذا زالت عن النوع الناطق قيل انها قد ماتت ومضت مع جريان الطبيعة • فمتى عادت الى الكون الأول ، ثم ذكرت عالمها بعض الذكر قيل انها قد حييت من مماتها وحينئذ تتعلق بالمعنى الذي قد ذكرته مستكشفة له وباحثة عنه وعن جميع المعاني التي نسيتها أولا • فكلما عقلت شيئا مما نسيته تجلى بصرها وقويت صحتها وفارقت مرضها • وعند ذلك تدرك ببصر عقلها أن جميع ما هي مشاهدة له في عالم الحس انما هو خيالات أشياء ، لا أشياء بالحقيقة • وظل الشيء هو ظل الشيء بالحقيقة على وجه الارض أو الماء • وانما عرض للنفس مرابطة أشكال الانواع دون الانواع عينها بنسيانها عالم العقل أولا عند ورودها الى عالم الحس • وبتأملها هذه المعاني وذكرها لها تكون صحتها من مرضها ، وعقلها بعد جهلها ، فتذهب راجعة الى تأمل المعاني الحقيقية والحياة الدائمة السرمدية •

يا نفس ! تأملي قولي وافقهيه واعلمي أن العقل للنفس كالأب ، والطبيعة كالزوجة ، وأن للنفس جهتين تميل اليهما : فتارة تميل نحو العقل بالمناسبة كالمناسبة التي بين الأب والابن ، وهذا هو العقل الطبيعي الحقي ، وتارة تميل نحو الطبيعة كالعاشق الذي يعشق زوجته • وهذا هو العقل العرضي الزائل ، فتأملي ، يا نفس ، الرجل اذا خلا مع زوجته كيف تقابله بالمداعبة والضحك والملق وتكلمه بالطف ما يكون من الكلام وأرقه • وليس ما تبدي من ظاهرها كباطنها ، لأنها انما تفعل ذلك لتستعبده وتستعمله في أغراضها وتشافه به المهالك • فانظري يا نفس الى فعل الزوجة كيف تسقي العسل مخلوطا بسم قاتل رديء العاقبة • ثم تأملي ، يا نفس ، الرجل اذا خلا مع ولده كيف يقابله بالعتب والتوبيخ ويكلمه بأمر الكلام وأخشنه • وليس ظاهر ما يبدي من ذلك كباطنه ، لأنه انما يريد بذلك تشريفه ومنفعته في جميع حالاته • فانظري يا نفس الى فعل الأب • كيف يسقي الدواء المر الكريه لولده مخلوطا بالصحة والحياة وحسن العاقبة ! فتفهمي يا نفس هذ

المعاني • فما كان حقا فخذيه ، وما كان باطلا فدعيه واطرحيه •

يا نفس ! انما لك أخاطب ، واليك أشير ، واياك أريد ، انما الطبيعة زوجتك ، والعقل أبوك ، وان لطمة من أبيك خير لك من قبلة من زوجتك •

يا نفس ! انه لا بد لك من أبيك ، لأنه لا شيء يقطع المناسبة بينك وبينه ألبتة : لا الفرقة ولا الاجتماع ، ولا الغضب ولا الرضا ، بل المناسبة ثابتة على كل حال لا يمكن زوالها ، لأنه قد يمكن أن يخلي الرجل زوجته فتنقطع علائقه منها ، ولا يمكنه أن ينتفي من أبيه ويأخذ له أبا غيره •

يا نفس ! انه بطاعتك للعقل تحيين وتشرفين ، وبعصيانك اياه وطاعتك للطبيعة تموتين وتنحسين • فتصوري يا نفس حقيقة هذه المعاني وتمثلي بها • توفقي للسعادة وتستكملي الرشاد ».

أفلاطون يقود نفسه الى المنفعة والنجاة :

وفي الفصل السابع يستمر أفلاطون في تقديم

النصائح لنفسه محاولا ارشادها الى الطريق المستقيم حيث المنفعة والنجاة ، والى الابتعاد عن المسالك الوعرة المليئة بالضرر والمهالك ، فيقول : « يا نفس ! حتى متى والى متى أنا سائق لك الى طريق المنفعة والنجاة لي ولك فلا تنساقين ، وأنت سائقة لي الى طريق الهلكة والمضرة لي ولك فلا أنساق معك ؟! فاذا كان قد وجب هذا الخلف بيني وبينك فليس ها هنا يا نفس غير المفارقة • فاذن نفترق يا نفس ويمضي كل واحد منا الى حيث يهوى ويريد •

يا نفس ! ما أنت منصفة ولا عادلة ولا عاقلة ! أبوك مقبل عليك بتأديبه ومعاتبته : النافعة لك عواقبها ، اللذيذة ثمارها ، وأنت معرضة عنه ومقبلة على زوجتك وخداعها وطنزها ولطيف ملقها المثمر لك الاحزان والهموم ، والمخافة والفقر •

يا نفس ! انه ان فاتتك فرصة العمل بالصحة في أوان العمل فاتتك حلاوة الاستثمار والثواب على صالح الاعمال • فان من لم يغرس الشجرة في أوان الغرس ، لم يتلذذ بالثمرة عند ادراك

الشمر • فتيقني يا نفس قولي هذا وافهميه ان كنت حية عاقلة • وان كنت ميتة جاهلة ، فما أبعد تيقنك اياه وفطنتك له !

يا نفس ! ان الاصناف الشريفة انما وردت الى عالم الكون لتختبره • فلما وردته وشافهت معانيه أنسيت عالمها العقلي وجهلت ذاتهاالصورية• فمتى استدركت ذكر ما أنسيته فقد صارت مشافهة للعالمين جميعا ومميزة بينهما بالشرف والخساسة، وملكت التخير أن تلبث عند أيهما آثرت ، فاذا أدركت ببصيرة عقلها علو المرتبة الشريفة على دنو المرتبة الخسيسة • فحينئذ تؤثر الرجوع الى ما ناسبها بالمعنى الذي هي به ، وتنفصل مما قارنها بالعرض ظاعنة عنه زاهدة فيه • فتحققي بذلك يا نفس فان لك تحته راحة كبيرة وفائدة عظيمة وسعادة دائمة مضيئة •

يا نفس ! ان المواعظ والتنبيه صقال النفوس من الصدأ ، وان المرآة الصدئة بالعرض السريع الزوال يمكن للصقيل جلاؤها ، وان المرآة قد قبلت الصدأ بالعرض الثابت البطيء الزوال الخارج عن حد القوة الى حد الفعل فقد صار لها ذلك الصدأ

طبعا ثانيا ثابتا مستحكما فلن ينجح فيه عمل الصيقل ولا يستخرج الصدأ منها الا باعادتها الى النار • وكذلك النفوس العرضية الكدر تنجلي بالتنبيه والمواعظ فتتذكر سالفات أمورها • فأما النفوس الطبيعية الكثيرة الوسخ والكدر فليس يجلوها الا دخولها الى رتبة العذاب وطول لبوثها فيه وترددها اليه •

يا نفس ! كم يتردد الذهب الكثير الغش الى النار قبل أن يصفو ويتهذب ! وكم يدخل العود المعوج الى النار ويقوم قبل أن يتقوم ، وكم تعاد الحنطة الى الغرابيل قبل أن يذهب دغلها وغلتها ، وكم تشافه النفوس الخبيثة الصدئة بألوان العذاب قبل أن تستقيم وترجع !

يا نفس ! انه لا يمكن أحدا أن يعرف فضل حلاوة العسل على مرارة الصبر دون أن يذوقهما جميعا ويعقلهما بالتمييز • وكذلك لا يمكن النفس أن تعرف فضل حلاوة النعيم على مرارة العذاب دون أن تذوقهما جميعا وتعقلهما •

يا نفس ! كم بين الخارج من شيء قد خبره

وذاقه فزهد فيه ، وبين الداخل اليه الراغب في أن يختبره ويذوقه !

يا نفس ! ان المقاتل في الحرب يتمنى الخروج منها لكرب القتال وثقل السلاح ، والذي لم يشاهد حربا قط يشتهي أن يلاقي الحرب ويذوقها • فان قلت يا نفس انك قد وصلت الى غايتك مما قد جربته • فارجعي الآن الى نهايتك مما كنت فيه ونسيته •

يا نفس ! متى أردت الاعتبار الاكبر فانصرفي الى تأمل الشيء الابدي الديمومة الأزلي الغاية ، السرمدي المسافة ــ اذ لا حد لمسافة شيء سرمدي ــ والذي هو مبدأ الاشياء كلها عند ظهورها ،ومفيضها عند دثورها ، الذي هو باسط الاشياء وقابضها ، ومبدؤها ومعيدها ، وواضعها ورافعها ، ومنشئها ومبدئها ــ كلا بعد كل ، وفرعا بعد فرع •

يا نفس ! تأملي الاشياء الجزئية كيف تضعف قواها عن الثبوت والديمومة فتدثر عن كيانها وترجع الى كلياتها ــ فكذلك الاشياء الكلية تضعف عن المساواة في الديمومة الاصل الفردي الأزلي

فتدثر عن انحلال قواهـا وتنـاهي مددها دفعـة واحدة • وكذلك توجد الاشياء تارة بالفعل ،وتارة بالقوة دائما سرمدا •

يا نفس ! كم بـين خليـل يرزأك ويحسـدك ويحوجك ويفقرك ويحزنـك ويفزعك ويعميـك ويجهلك ويغشك ويكدرك ! تتجهين للبصر فيعميك وتحاولين الرشاد فيطغيـك • يفيـدك المقتنيـات الزائلة البائدة التي لا حقيقة لها ، ويمنيك الاماني الكاذبة الخسيسة التي لا وجود لها • فأنت بائسة أبدا محتاجة فقيرة خائفة حزينـة ذليلة مسكينـة مظلمة صدئة مستعبدة ، كلما أسعفته زاد فقرا ، وكلما طهرته ازداد نجاسة ، وكلما صححته ازداد مرضا ، وانتقاضا ، تتوهمين دوام خلته وثباته وهو مسرع بجريانه الى تركك والذهاب عنـك • وحينئذ يذيقك غصص الفراق وتوهان العقل • وهذا كله يجري عليك بضلالتك ونقصك وعماك وجهلك • وكم بين هذا الخليل يا نفس وبين خليل غيره تصحبينه • ان افتقرت أغناك ، وان ضللت هداك ، وان جهلت علمك ، وان عميت بصرك • لن يلزمك منه مؤونة ولا كلفة ولا اهتمـام ولا خدمة • وهو أبدا معك لا تذوقين لخلته انقطاعا ،

ولا لوجوده فقدا ولا فراقا • كلما دمت معه اكتسبت من شرفه شرفا ، ومن نوره نورا ، ومن حياته حياة، ومن علمه وبصيرته علما وبصيرة ، ومن غناه وعزه غنى وعزا • يقنيك المقتنيات الدائمة الابدية ، ويفيض عليك بالصلات الموجودة الحقية فأنت معه رابحة غير خاسرة • فتمثلي هذا الخليل يا نفس واقترني به وانضافي اليه وبه أتحدى ! » •

أفلاطون يصر على تعويض الصاحب السيء بصاحب آخر خيِّر مستقيم :

يعتقد أفلاطون ان من كان عنده صاحب ففقده، فليس عليه الا أن يفتش عن صاحب آخر عوضا عنه ، وربما وجد في هذا القرين ما فقده عند صاحبه المفقود • لذلك يقول في الفصل الثامن من كتابه « معاذلة النفس » : « يا نفس ! ان من كان له حبيب ففقده ، ثم وجد مع فقده اياه عوضا منه وبديلا يوشك أن يسلاه وينساه ، ولا سيما اذا كان الآتي أوفق وأحمد من الماضي ، ومن فقد حبيبا ثم لم يجد منه عوضا يوشك أن يطول حزنه وتعظم حسرته • ومن السياسة يا نفس ان كان لك خليل أنت متحققة فقده وفراقه أن ترتادي منه بديلا

وعوضا ، وتلتمسي لك صاحبا قرينا • ومن الواجب أن يكون المستأنف أوفق وأحمد من الماضي • فان من فقد شيئا ثم وجد ما هو خير منه تحولت مصيبته نعمة ، وحزنه فرحا وسرورا •

يا نفس ! من قبل مزايلتك عالم الكون والفساد تمكني من مواصلتك عالم العقل • ومن قبل مفارقتك قرينك الغادر الدنيء الفاني تخيلي فراقه وتمثيله ، وتخلي عنه مهلا مهلا ، واستقبلي مواصلة خليلك الآتي وأنسي به وانضافي اليه مهلا مهلا •

يا نفس ! أي أحد سكن منزلا فبغضه وأراد الخروج منه فينبغي له أن يرتاد موضعا غيره قبل نقلته • فان من انتقل من موضع ولم يعرف موضعا غيره ينتقل اليه يوشك أن يبقى تائها مضطرا ، والاضطرار يلجئه الى أن يسكن حيث وجد على غير ترتيب ولا اختيار ،فلعله يسكن بالضرورة في موضع شر من موضعه الاول فيتنغص عيشه وتتكدر حياته •

يا نفس ! انه ما من أحد يسكن في موضع الا

وهو يشتهي أن ينتقل منه الى ما هو أشرف من الأول وأوسع وأبهى • فما بالك يا نفس تؤثرين أن تسكني في المساكن المظلمة الخربة الوحشية ، وتتركين المساكن النيرة المضيئة الآنسة ؟ فحتى متى تكونين من عمار الخرابات الوحشية ، وتكون منازلك الأولى الحقية معطلة منك خالية ؟ يا نفس ! تيقني ما أقوله لك وتدبريه • ان كنت متحققة لشيء غير ما تدركينه بالحواس الخمس فقدتوجهت الى طريق نجاتك • وان كنت لم تتحققي شيئا من الاشياء الا ما شاهدته ببصر الجسد وسمعه وذوقه وشمه ولمسه فأنت اذن موقفة على طريق العطب ومقاساة العذاب •

يا نفس ! ان حد التقى كلمة ينبغي أن تعقليها وتتيقني معناها • فحد التقى أن تتقي الاشياء الضارة لك • وكل شيئين يكون أحدهما ضارا للآخر فينبغي أن يكونا مختلفين في معناهما ، لأن المضرة انما تكون بالمخالفة ، كما أن المنفعة انما تكون بالاتفاق • ومن اتقى الاشياء المضرة كان متقيا بالحقيقة ، ومن واصل الاشياء المضرة له مع الاشياء النافعة فقد صار لا متقيا بالحقيقة ألبتة • لا لضار ولا لنافع • ومن واصل الاشياء الضارة له

واتقى الاشياء النافعة له فقد يقال له أيضا انه غير متق اذا اتقى ما ينفعه وواصل ما يضره • وليس يوجد في الموجودات شيء آخر يكون لا نافعا ولا ضارا • فان آثرت يا نفس المنفعة فواصلي الاشياء الموافقة لك في معاييك ، وان آثرت المضرة فواصلي الأشياء المخالفة لك في معانيك • وان آثرت الحيرة والتوهان والاشراك والشكوك فواصلي الاشياء النافعة والاشياء الضارة جميعا • اذ لا تجدين حالا من الاحوال غير ما قد رسمته لك •

فتيقني يا نفس هذه المعاني : فان كنت نيرة مضيئة فلا تشافهي الظلمة ، وان كنت حية ناطقة فلا تشافهي الموتى البكم • وان كنت عاقلة مميزة فلا تشافهي الجهال والعميان •

يا نفس ! تهدي الى الشيء النافع لك باتفاقكما، والى الشيء الضار لك باختلافكما في المعنى : فما كان نافعا فخذيه ، وما كان ضارا لـك فاطرحيه واحذريه •

يا نفس ! اذا عزمت على النقلة من مسكن أنت ساكنته فانتقلي الى مسكن يكون أشرف من المسكن

الأول ليشتد سرورك بنقلتك ، فان من انتقل من بيت مظلم ضيق خرب وحش الى بيت مضيء نير رحب آنس يوشك أن يبقى مسرورا بنقلته ، فرحا بحسن عاقبته ٠

يا نفس ! احذري الخطأ في السياسة فان ثمرة الخطأ هي العذاب بعينه ، لأن الخطأ والزلل لا يثمران الا خطأ وزللا وسوء عاقبة ، وان ثمرة الاصابة وحسن التهدي هي النعيم بعينه ، لأن الاصابة وحسن التهدي لا يثمران الا اصابة وهدى وحسن عاقبة ٠٠٠ » ٠

بالعلم الحقيقي تكون السعادة وبالجهل تكون الظلمة:

يتابع أفلاطون تقديم النصائح والارشادات لنفسه فيبسط لها أن في العلم الحقيقي تكون السعادة وتدرك ببصرها الاتصال الحقاني بالباري، فتشعر بالسعادة الحقانية ، أما اذا جهلت هذه الأمور وتنكرت لها عن طريق الوهم فتقترن بألوان العذاب والآلام ٠ « ٠٠٠ يا نفس ! انه بالعلم الحقيقي تدركين ببصرك اتصالك ببارئك ومناسبتك اياه فتلتذي بذلك لذة الحق ، وأنه بالجهل تعدمين

ذلك وتنكرينه ، وذلك بعماك وظلمتك وخطئك وزللك فتخيلي بالتوهم أنك من الاصناف الخسيسة وتلحقي بها فتقترني بألوان العذاب والآلام ٠

يا نفس ! لتكن أغراضك كلها علم الحق ٠ فاذا اقتنيته فانهضي وتزكني في الفكر والتمييز دائما لتدركي بذلك الاصابة وتجري عادتك بها ويحتد بصرك ونورك ، فتفعلين حينئذ فعل المصيب البصير النير المهتدي ، وتنسين الجهل والعمى والخطأ فتتركينه وتقدمين بذلك فعل الجاهل الأعمى المخطيء ٠ فتدبري هذا واعتبريه ، فان باعتبارك اياه تجدين حقيقته ٠٠٠

يا نفس ! ان أردت أن تعرفي حال النفس بعد مفارقتها الجسد فانظري الى حالها وهي ملازمة له ٠ فان كانت موافقة للاصابة فانه بعد مفارقتها الجسد لن تؤديها عادتها بالاصابة الا الى الاصابة وحسن العاقبة والثواب ٠ وان كانت مقارنة للخطأ فان عادتها لن تؤديها الا الى الخطأ ، والخطأ يثمر لها العقاب والعمى رسوء المنقلب ٠ فافهمي هذا » ٠

النفس ترغب في النعيم والسرور وتزهد فيهما وتنحرف عنهما :

يعود أفلاطون لمحاسبة نفسه وتأمل أحوالها ، فيتعجب ويقول في الفصل العاشر من كتابه « معاذلة النفس » : « يا نفس ! اني لأتأمل حالك فيطول تعجبي منه ! تظهرين بالقول أنك زاهدة في الشقاء والاحزان ، وأنت بالفعل راغبة فيهما وملازمة لها ومغابطة لأهلها عليهما . وتظهرين بالقول أنك راغبة في النعيم والسرور ، وأنت بالفعل زاهدة فيهما ومنحرفة عنهما ومستوحشة من الطريق اليهما . وهذا يا نفس ، فعل مختلف ، والفعل المختلف لا يظهر الا من فاعل ليس بفارد ولا متوحد بل فيه اشتراك وتركيب ، لأن الشيء الفارد لا يفعل الا فعلا فاردا لا اختلاف فيه ، والشيء المختلط لا يفعل الا فعلا مختلطا . فقد تبين الآن ، يا نفس ، أنك لم تتمحضي من غشك ، ولم تتهذبي من سوء مكتسباتك التي اكتسبتها في سالفات أدوارك فقد تبقى فيك جرب وصدأ هو السبب في اختلاف ما يظهر من فعلك . فان كان هذا الصدأ فيك بالعرض السريع الزوال ، فبادر

بالجلاء والصقال قبل أن يستحكم في ذاتك • وان كان هذا الصدأ فيك مستحكما باقيا فعودي الى النار فانسبكي فيها لتخرجي منها صافية محضة • فان المرآة ذات الجرب والصدأ الثابت لا ينجح فيها الجلاء ولا ينقلع صدؤها الا بالنار والسبك • فاذا أنت تمحضت ، يا نفس، من جربك وصدئك فحينئذ يتحد فعلك بغير اشتراك ولا نفاق ، فتكونين اما راغبة في الشقاء والاحزان بالحقيقة زاهدة في النعيم والسرور بالحقيقة ، واما راغبة في النعيم • السرور بالحقيقة ، زاهدة في الاحزان والشقاء بالحقيقة • فاعملي يا نفس بهذه الوصية ، توفقي للسعادة وترشدي الى النجاة وتهتدي الى الاصابة فتستثمري جميل الثواب وحسن العاقبة •

يا نفس ! تيقني أولا أن الموت الطبيعي ليس هو شيئا غير غيبة النفس عن الجسد • فاذا تقرر هذا في علمك فتمثلي أن الرجل الحكيم العالم هو حكيم عالم عند حضوره ، وهو حكيم عالم عند مغيبه ، لن ينتقل عن حكمته وعلمه أينما توجه وأينما سلك • فتنبهي يا نفس الى هذا المعنى واقتنيه وتيقني أيضا بأن غارس شجرة الخير وغارس شجرة الشر مختلف بينهما ، لأن شجرة الخير لا تثمر الا

خيرا ، وشجرة الشر لا تثمر الا شرا • فان لم يكن ذلك كذلك فشجرة الخير اذن تثمر شرا وشجرة الشر تثمر خيرا • فان كان هذا هكذا وكانت الشجرة تثمر غير ما في طبعها فقد ينبغي لغارس شجرة الكرم أن يستثمر منها البلوط ولغارس شجرة البلوط أن يستثمر منها العنب • ولسنا نرى شجرة تثمر غير ما في طبعها • لأن شجرة الكرم لا تثمر الا عنبا ، وشجرة البلوط لا تثمر الا بلوطا • فكيف يكون ، يا نفس ، غارس شجرة الخير يستثمر غير الخير ، وغارس شجرة الشر يستثمر غير الشر ؟ •••• » •

كيف سهت النفس معانيها الذاتية وانهمكت بالرذيلة والأمور الشهوانية ؟! :

يلاحظ أفلاطون بأن النفس عندما هبطت من العالم العلوي تعلقت بالأمور الشهوانية الموجودة في عالم الكون والفساد ، وابتعدت عن معانيها الذاتية الخيرة الناهدة الى المثالية والكمال فقال ناصحا ومرشدا نفسه : « يا نفس ! ان هذا عالم الطبيعة قد وردته واختبرته • فهل اختبرت منه شيئا غير مبصرات موحشة ومسموعات مفزعة مبهتة وطعوم

مؤلمة مضجرة وروائح كريهة منتنــة وملموســات نجسة دنسة ؟ فلما وردت الى هذه الاشياء اغتبطت بها اعجابا وهوى وعشقا ، ونسيت معانيك الذاتية الشريفة • فلما عرفــت خطاك وزللك أردت أن تشركي معك في خطئك غيرك وتحيلي الذنب على سواك • هيهات ! هيهات ! يا نفس ! ليس الذنب الا ذنب من جناه ، وليس الخطأ الا خطأ من أخطاه • فتلافي يا نفس خطأك وزلك فانك كما وقعت فيما تكرهين بهواك وشهوتك ، فكذلك تتخلصين منــه بهواك وشهوتك •

يا نفس ! كل مكروه أصابك وأنت في عالــم الكون فتيقني أن سببه وأصله هو من قبلك ومن حيث خطؤك وزللك • وحتى تذكرت ذلك ذكرته وعرفته ، وحتى ورد عليك وارد من المكاره فلم تعرفي سببه وأصله فلا تحيليه على غيرك ، بــل اجعلي سببه وأصله خطأك القديم الاول الذي قد نسيته . لأن من دخــل الى دار المصائب وأتاهــا وأصابته مصيبة ، فان ذلك بخطئه اذ أتى الى دار المصائب فدخلها وقد كان له بد من دخولها • وأعظم من هذا كله أنه قد حذر منها فلم يحذر ، وقد خوف

منها فلم يخف ، ونصح فلم يقبل ، واتبع هـواه وشهوته ·

يا نفس ! أليس وأنـت خارج السجن كنـت تبصرين الاشياء وتسمعين الاخبار ، فلما دخلت الى السجن خفي ذلك كله عنك وصرت مسجونة أسيرة تتشوقين الى خبر تسمعينه ، وتتشوقين الى علـم تدركينه وتبصرينه ؟ فما الذي حملك على دخولك السجن ؟ أليس هذا كله بخطئك ؟ ··· » ·

النفس يلزمها الصبر حتى تصل الى الظفر والفوز :

في الفصل الثاني عشر مـن كتـاب « معاذلـة النفس » يوضح أفلاطون بأن من غرس شجـرة الصبر أثمرت وأعطت أكلها من أطيب الاثمار · أما من غرس شجرة الفتك فسوف تعطي غارسهـا الحرمان والشقاء · لذلـك يقول مخاطبا نفسـه واعظا ومرشدا بقوله : « ··· يا نفس ! اقترني في جميع مطلوباتك كلها بالصبر ، فان الصبر خلق النفس الأشرف ، وهو الذي به يكتسـب الخـير وتدرك السعادة · واني ممثـل لك معاني عـدة فتحققي بها : ان النفس هي الطالبة وان الخير هو

المطلوب ، والصبر هو المعنى الذي ينبغي أن ينتصر به الطالب ، والتوفيق هو المعنى الذي ينتصر به الخير ويجود به • فان اتصل الفعل من الطالب بالفعل من المطلوب وجبت الوصلة وتم الانضياف• وانما مثلت لك هذا المعنى لتعلمي أنه انما تنال الاشياء كلها بالصبر وأن الخير لا ينال الا بالصبر •

يا نفس ! ان مرارة الصبر تثمر الحلاوة والراحة ، وحلاوة العجل تثمر المرارة والتعب •

يا نفس ! اقتني الصبر والثبات على عبادة اله واحد فهو أهنأ لعيشك وأعظم لراحتك • واحذري أن يحدوك الملل والضجر فتخرجي عن حد الوحدانية فتكثر آلهتك • ومن كثرت آلهته كثرت خدمته واشتد تعبه ونصبه ، وتوافرت هومه وتشمشمت نفسه فهلك •

يا نفس ! ان الضجر والملل مقرونان بالنفوس البهيمية ، والصبر والثبات مقرونان بالنفوس التامة الانسانية ، فلا يخرجك الضجر والملل عن حد الصبر فتستريحي الى اتخاذ الآلهة ثم تنقسمي بعبادتهم وخدمتهم فتتحمقي وتتحللي فيطفأ نورك

وتضعف قوتك ويذهب شرفك ويزول سلطانك •
وهذا هو موتك فاحذريه وانحرفي عن معانيه •

يا نفس ! ينبغي أن تتقيني معرفة ذاتك وما لها من المعاني والصور ، ولا تتوهمي أن خارج ذاتك شيئا مما يجب أن تطلبي علمه ، بل جميع معلوماتك كلها معك وفيك ، فلا تتوهي بطلبتك ما هو معك ، فان كثيرا من الناس يكون معه شيء وينس أنه معه فيطلبه خارجا عن ذاته ويتوه ثم يأتيه الذكر فيذكره ويجده مع نفسه لا خارجا عنها • فتيقني يا نفس أنه لا شيء من الاشياء المعلومة والموجودة دائما أبديا خارج عنك ألبتة • وانما الشيء الخارج عنك هو ما امتاز من كدرك وثقلك في الابتداء الأول وهو الشيء القابل للاعراض الجاري مع الكون • ولا شيء آخر يوجد ألبتة غير هذا • فارجعي يا نفس ، الى ذاتك فاطلبي جميع معلوماتك فيك لا خارجا عنك ، ولا تخرجي عن ذاتك فترجعي الى كدرك تطلبين علم ما فيه فتقعي في تيار الاختلاف وتتلاعب بك الاعراض كتلاعب البحر الهائج بما فيه من السفن ، ثم آخر أمرك أن لا تكسبي منه خيرا ولا شرا ، ولا يحصل معك منه علم • فثقي يا نفس بحقيقة هذا القول ولا تنسي الشيء الذي

هو معك وتمضين تطلبينه في موضع آخر ، فان جميع ما ينبغي أن تعلمه النفس هو في النفس بلا غيار ولا غيرية من النفس ، بل انما يعرض من الحس الذي هو الجسد ... » .

حد اللذة بالحقيقة هو ما لا يُمَلّ

يؤكد أفلاطون أن حد اللذة بالحقيقة هو ما لا يمل . ومتى طلبت النفس ، وهي في عالم الطبيعة، لذة فقد سمت الى غير موجود ، وطلبت ما ليس يمكن . ودليله على ذلك قوله : « والدليل البين على هذا أن جميع ما تشافهه النفس في هذه الدنيا مملول ، والمملول لا ينبغي أن يسمى لذة اذ كان حد اللذة ما لا يمل . أو ما تنظرين يا نفس الى أكثر أهل الدنيا كيف يبحثون في طلب اللذات ويتوهمون أنها موجودة في الدنيا وليس هي بموجودة . فتبيني أن الناس يطلبون في الدنيا ما ليس فيها .

يا نفس ! تأملي نفوس الناس كيف ترد الى معاني الدنيا كلها فتشافهها مشافهة ذائق مختبر ، ثم تصد عنها صدود قال ضجر . وليس أحد في هذه

الدنيا براض بمنزلته فيها ، بل قال لها ضجر منها ، وهذا من أوضح الدلائل على أن النفوس انما تبحث في هذه الدنيا وتطلب منزلة توازي شرفها وتضاهي معانيها ، فلا تصيب ذلك : فهي مقبلة مدبرة تطلب ما ترتضيه • فمتى حصل في النفس حقيقة هذا الشرح ، اقتنت الاياس وأزالت الطمع : من مطالبة اللذات ، وهي في عالم الكون •

يا نفس ! كيف توجد في الدنيا لذة ، وكل رتبة تقف النفس عليها في الدنيا تحتاج الى الصبر ، والصبر مر المذاق ، وكل شيء حلو ان خلطته بالمرارة فهو يصير مرا • ومتى نفرت النفس من الصبر والتأدب به ثم ذهبت تطلب المعنى المرضي لها حصلت على التوهان • تذوق هذا وتتركه ، وتوصل هذا ثم تقطعه ، وترغب في هذا ثم ترفضه • وهذا معنى قبيح وفعل خسيس وخلق دنيء • ومتى تأدبت النفس بالصبر على أي رتبة كانت من رتب الدنيا فقد اقترنت بها مرارة الصبر • فقد حصل من هذا الشرح كله : اما أن يكون الانسان تائها ذواقا فيحصل على رتبة الخساسة والدناءة ، واما أن يرضى برتبة صالحة من رتب الدنيا مع الصبر عليها ، فيحصل على مقاساة المرارة مدة مقامه في

عالم الطبيعة • ولأكل المرارة مع اكتساب الشرف والعز خير من أكل الحلاوة مع اكتساب الخساسة والدناءة •

•

يا نفس ! ان غرض الحق وقضاء العقل أن تكون الاشياء على ترتيبها الطبيعي ثابتة • فاذا كانت كذلك فما أحسنها وأجملها وأعدلها ! وذلك كالصانع الذي ينبغي له أن يكون هو الذي يستعمل الآلة ، لا الآلة تكون مستعملة له ، وكفارس الذي ينبغي أن يكون هو مدبر الفرس ويجريه ويروضه، لا أن يكون الفرس يدبر الفااس ، وكالسلطان الذي يجب أن يكون هو مدبر الرعية والسائس لها ، لا أن تكون الرعية تدبره وتسوسه • فاذا جرت هذه الأشياء على كيانها الطبيعي ظهر الحق والعدل الحسنان الجميلان ، واذا انعكست بالضد والخلاف ظهر الشر والجور القبيحان الرديئان •

يا نفس ! ان كان الجسد بالنفس يحيا وبها يبصر ويسمع ويشم ويذوق ويلمس ، فقد وجب ضرورة الاقرار بأن الجسد آلة النفس • ومن القبيح أن تكون الآلة تدبر الصانع وتستعبده ، فان الصانع المدبر ، لا الآلة ، لأن الجاهل اذا اتخذ

آلة اشتغل بتزيينها وتزويقهـا وترفيهها ـ عـن استعمالها والاكتساب بها ثم يحصل على عبادتـه لها ، فحينئذ ينقلب الحق باطلا ، ويصير العـدل جورا ، والحسن الجميل قبيحا سمجا ، اذ يصـير الحي البصير السميع العاقل الشريف عبد الميـت الأعمى الأصم الجاهل الخسيس ٠

يا نفس ! ان زمانا تدبر فيه الرغية السلطان لزمان معكوس ، وقد وجبت الهلكة على الجميع ٠ واذا وجب أن يكون الفرس يدبر الفارس فقد وجب هلاكهما جميعا ٠ واذا وجب أن يكون الجسد يدبر النفس فقد وجب هلاكهما جميعا ٠

يا نفس ! ان السياسة هي خلة لا تصلح لمخلوق ألبتة ، وانما هي محنة يمتحن بها الناس : فـان امتحن بها العاقل الرشيد تبين من نفسه الضعف عن القيام بتدبيرها فخضع وذل ورغب الى سائس الكل وعلته ، الفائض بالخير كله على الطالبـين اليه ، فاكتسبت نفسه بانصبابها الى الخـير خيرا وبصيرة ، فيهدى الى حسن السيرة والقصد الى وجه الاصابة والنجاة من الخطأ بحسن التوفيق ٠ فتكون هذه النفس تشرب من ينبوع الخير والعدل ، ثـم

تفيض بما فيها على من تشتمله سياستها • فبذلك يكون ظهور العدل والخير وسعادة السائس والمسوس• وأما الجاهل فانه اذا امتحن بالسياسة سره ذلك وأبهجه ، ورأى أن في قوته وطبعه ما يقوم بها وبأضعافها • فحينئذ يتهاون بها وبتدبيرها ، وينصرف بجميع قوته الى التلذذ والتنعم المثمرين الجهل والعمى والزلل والخطأ ، فتكون تلك النفس تشرب من ينبوع الشر والجور ، ثم تفيض بما فيها على من هو تحت سياستها ، فيكون بذلك ظهور الشر والجور وهلكة السائس والمسوس •••• » •

أحلام الدنيا ليست بشيء حق :

ويختم أفلاطون كتابه قائلا في الفصل الرابع عشر بأن أحلام الدنيا ليست بشيء حق بالاضافة الى أسباب الدنيا • وكذلك أسباب الدنيا ليست بشيء حق بالاضافة الى عالم العقل الذي هو الشيء الحق والمحل الحق • « وانما شرحت لك يا نفس هذه المعاني لئلا تغتبطي بمشاهداتك التي في عالم الحس ، فتكوني كالذي نام فرأى في منامه أشياء حسنة مبهجة أنيسة فركن اليها • فلما استيقظ حزن وجزع على مفارقته تلك الاشياء التي رآها

في نومه نعما ، حتى انه بضعف عقله وقلة علمه يعود الى النوم شوقا منه الى الاشياء التي رآها في نومه • فان كان هذا ، يا نفس ، قد اتضح لك ، فاعلمي أن النفس اذا كانت في عالم الكون مشاهدة لنعيمه ولذاته وسروره ، فانها مهما تفارقه تالم لذلك أشد الألم وتجزع له أشد الجزع • وبالحقيقة انما تعود اليه تطلب تلك الاشياء التي كانت تشاهدها ـ شوقا اليه واغتباطا بها • ومتى كانت النفس في عالم الكون مشاهدة لبؤسه وأحزانه وضيقته فانها مهما تفارقه تجد لمفارقته أعظم اللذة وأكمل السرور والراحة • وبحق انه لو رأى نائم في منامه كأنه مشاهد الاشياء كلها سمجة وحشة مؤذية ، ثم استيقظ من نومه ذلك ، لوجد عند استيقاظه أعظم اللذةوأتم السرور والراحة لمفارقته تلك المعاني التي شاهدها في نومه • نعم ! ويكره أن يعود الى النوم استيحاشا وفزعا من تلك المكاره التي رآها •

يا نفس ! متى أعطتك الدنيا شيئا فلا تأخذيه منها ، فانها ربما تطربك لتضحكك قليلا وتبكيك كثيرا • وهذا الفعل منها انما هو بالطبع ، لا بالتكلف ، ولن يقدر الشيء الطبيعي أن يكون غير

ما هو · فأما النفس فلأنها حية عاقلة مميزة فلها الاستطاعة على أن تنخدع وعلى أن لا تنخدع · فاذا شافهت أفعال المخادع لها ثم انحرفت عن خداعه وحذرته فقد نجت من سوء العاقبة · واذا قبلت المخادعة والمحال فانما ذلك بهواها وشهواتها · وكما أنه يمكنها أن تقبل الخداع ، فكذلك يمكنها أن لا تقبل ذلك : فهي مالكة الاستطاعة ان شاءت تحرزت من الهلكة ، وان شاءت دخلتها فانظري يا نفس الى هذه الوصايا ، وتدبري بها ، لتفوزي بالنجاة الى دار البقاء ومحل النور والصفاء ، مع السادة الأخيار والانبياء الابرار ·

يا نفس ! خذي من الاشياء ما عرفته وعرفه الجميع ، ودعي ما أنكرته وأنكره الجميع ، وقد عرفت أنت والجماعة أن النار حارة محرقة مضيئة ، وأن الماء بارد رطب سيال يروي من العطش ، وقد عرفت أن كل الشيء أكثر من جزئه ، وأن المستوي غير المعوج · وقد عرفت أن الطوبي هو الحظ الشريف السني · وأن الويل هو الحظ الخسيس الدني · وقد علمت أن المرغوب فيه حبيب الراغب · وأن المزهود فيه بغيض الزاهد · فان كان فراق الحبيب شرا ومصيبة وفراق البغيض خيرا ونعمة ،

وان كانت الدنيا مفارقة بالحقيقة وبغير شك • فقد وجب الويل لمحبيها والطوبى لمبغضيها •

يا نفس ! انفصلي من الطبيعة بوهمك ، ثم انظري : هل تجدين شيئا غير ذاتك وكونها ؟ فاذا نعت ذاتك فقولي : هي الجوهر الصوري المصور المتحرك الحي العاقل المميز المتهجس الى معاني ارادته ومطلوباته ، ذو الاخلاق الشريفة الخيرة التي هي العدل والحكمة والجود والرحمة • فاذا نعت ذاتك بهذه المعاني ، وكانت لك ذاتية طبيعية ، فقد لزمك الاقرار بأنك أنت الشيء الحي اللطيف المدبر • فان سموت الى نعت كدرك هل تجدين له نعتا ذاتيا أو صفة دون أن تستعيري له النعوت والصفات ، فتنعتيه بالمعاني التي هي غيره •أفليس قد لزمك الاقرار بأن شيئا لا نعت له ذاتيا ولا صفة هو شيء ميت موضوع للاستعمال بطبعه ؟ ومما ينبغي أن تفهمي أن النفس انما تفعل في الطبيعة معاني ما تفعله العلة الأولى فيها • فمتى تمثلت ، يا نفس ، هذا المعنى الموجود في الحس وجدته هو الترتيب السلطاني بعينه •••• » •

ويقول أفلاطون في كتابه « طيماوس » : « ان

الأمور المتدرج الى علمها من غير نسق أو قصد أو اعتماد طبيعي مما في نظائر عالم الطبيعة وعالم النفس وعالم العقل وعالم الربوبية انما كان من تحسين ألفاظ وترتيب أسماء فقط • وقال : انا لو لم نستدل على وجود العوالم العالية الروحانية وبساطتها وحليتها مع اتحادها ، وبسطاتها وذواتها الا من عالم الكيان مع اشتماله على الاضداد وكثرة التغير والتقلب لكان ذلك استدلالا وثيقا وتدرجا مناسبا • فانا نجد عالم الكيان ــ مع كثرة التضاد فيه ــ لا يخلو من حسن النظام وفضيلة النظر والترتيب • وهو لازم لذلك ، وجميع أجزائه ، وانما تختلف بالأقل والأكثر • وكلما كان حسن النظام والتنظير فيه أكثر ، كان أدوم بقاءا وأفضل كمالا وأقرب الى طبيعة التمام • فاذا ترقينا الى عالم الافلاك ، وهو آخر حدود الطبيعة ، وجدنا حسن النظام مضاعفا وانتفت عنه الضدية وكان في حركته ساكنا ، وفي اختلاف أوضاعه ثابتا • فبالأحرى أن تكون العوالم الروحانية بريئة من الأضداد ، بعيدة من التغير والفساد ، متصفة بالبساطة ، مملوءة حسنا وبهاء ــ فان أصل الشرور والقبح والنقائص انما يجيء من جهة الاضداد •

وكلما بعد الشيء من الضدية بعد عن النقائص وكان أدوم بقاء وأتم فضيلة . فما كان بريئا عن الضد من كل وجه كان هو الكمال والتمام بالحقيقة وبريء من كل نقيصة . ولولا اتفاق عجيب بين الأضداد في عالم الكون ما وجد كائن . وما كان الاتفاق فيه أقوى وأكثر ، كان أوثق تركيبا وأدوم بقاء وأكثر حسنا وبهاء وأقرب الى طبيعة الوحدة والفضيلة .

فما كان هو سبب هذا الاتفاق والايجاد وطول البقاء ، فانه ينبوع هذه الفضائل ومبدعها وأحق بها من جميع ما عداه ، فينبغي أن نقول فيه انه البقاء والأزل والفضيلة التامة على الأبد . وأنت تجد الافلاك ما كان منها قريبا الى عالم الكون ـ كثير الحركات المختلفة . وكلما ارتفعت الافلاك انبسطت حركاتها وتوحدت حتى تصل الى الفلك الأعلى المحيط في الحركة اليومية النهاية في السرعة والبساطة والاتحاد وحسن النظام فلم ير ذلك في عالم النفس . وكم ترى عالم العقل أشد كمالا وأفضل نظاما وأكمل اتحادا وأشد سكونا ! وكم ترى ذلك في عالم الربوبية ومفيض الخيرات أجمع وينبوع الموجودات ! وهذه المقايسة المضاعفة تمكننا

أن نرتقي الى عالم الربوبية عليه ، وبدون ذلك فانما هو كلام فقط ·

واذا كانت حركة الاستدارة هي أبسط ما في عالم الطبيعة ، من قبل أنه لا ضد لها ولا معاند — فكيف ينبغي أن نقول في عالم النفس وفي عالم الربوبية ! فانا لا نجد في عالم الاجسام أبسط مما حركته حركة استدارية ولا أشد اتحادا ، وكان شأن الطبيعة أن توجد ويظهر أفعالها بكل ما يمكن فعالم النفس أبسط وأبعد من الزمان ومطابق للدهر · ولا يمكن أن يكون بهذه الصفة الا أن يكون صورة مجردة غير هيولانية من قبل دوام رجوعه الى ذاته · وأما دوامه فمن أجل مطابقته للدهر ، فان الدهر عدة الأزمنة ، والزمان عدة الحركات ·

ومن عالم العقل أخذت النفس الفكرة والتمييز، ومن عالمها أخذت الحركة والبقاء والدوام ، ومن عالم الطبيعة أخذت الفناء والخلاف في أجزائها · وفي سوس العالم اتصال أجزائه بعضها ببعض ، وأن كل متوسط يقبل الفيض والقوة مما فوقه ويؤديه الى ما دونه ·

ومبدأ الفيض من عالم الربوبية · وانتهاؤه ووقوفه عند الطبيعة الانسانية · ولما لم يبق هناك مسلك ، عاد العقل الانساني مترقيا من عالم الكيان الى عالم الملكوت والبقاء على هذه المدارج الطبيعية والمرافي الوثيقة الربانية الى أن يصل الى المبدأ الذي عنده انتهاء الفيض · ولما اتصل عام الطبيعة بعالم النفس حَيَّت أجزاؤه وتنفست · وكذا لما اتصل عالم النفس بعالم العقل ثم بعالم الربوبية تواصلت الفيوض واتصلت الاعطاءات »

هذا هو أفلاطون الحكيم العظيم الذي فعل فعل السحر بما قدمه من آراء وأفكار عقلانية في أفكار وعقول وفلسفة أهل المذاهب الاسلامية فعبوا من ينابيعه الخيرة وجعلوا فلسفته وأفكاره العرفانية مرتكزات للفلسفة الاسلامية الشاملة · فعسى أن نكون قد وفيناه حقه بما أوردناه من نصوص وأفكار وآراء عرفانية استقيناها من مصنفاته العقلانية ·

« تم »

صدر حديثاً عن دار ومكتبة الهلال:

في سبيل موسوعة نفسية المجلد الأول

في سبيل موسوعة نفسية المجلد الثاني

في سبيل موسوعة نفسية المجلد الثالث

في سبيل موسوعة نفسية المجلد الرابع

في سبيل موسوعة نفسية المجلد الخامس

في سبيل موسوعة نفسية المجلد السادس